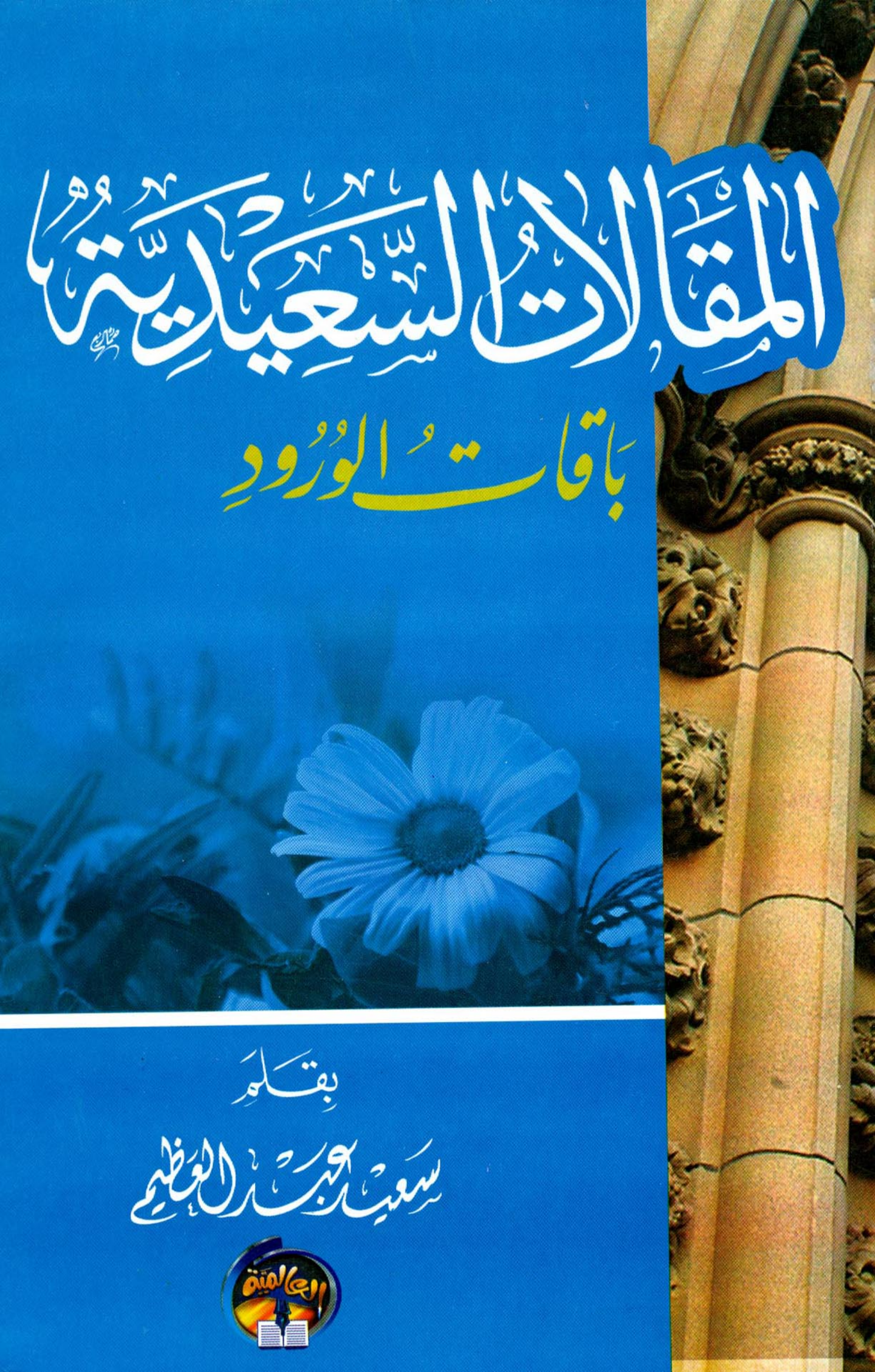

المقالات السعيدية
باقات الورود
بقلم
سعيد عبد العظيم

المقالات السعيدية

باقات ورود

كتبه

فضيلة الشيخ/ سعيد عبد العظيم

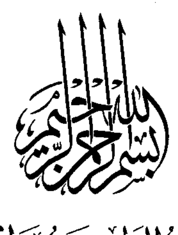


الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

المقالات السعيدية

باقات ورود



الدار العالمية للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢١١٦٥/٢٠٠٩م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-6326-39-2



الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٣٠٢+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

مُقَدِّمَة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد اعتاد الناس التهادي بباقات الورود في المناسبات السارة إظهارًا للمحبة والتقدير وتوثيقًا للأواصر وذلك لما للورود من رائحة عطرة وألوان زاهية خلابة تهفو إليها النفوس وترتاح إليها الأفئدة وتبعث على الألفة والانسجام، وهذا الفعل يطرب له الكبير والصغير والرجل والمرأة والبر والفاجر، وإذا كان هذا شأن باقات الورود فالأمر أعظم وأجل بالنسبة لآيات الله وأحاديث رسول الله ﷺ وكلمات العلماء والصالحين المستفادة من هذا النبع الصافي فيها حياة القلوب والأرواح وسعادة الدنيا والآخرة، بل الفارق بينهما كالفارق بين الأرض والسماء والثرى والثريا، وإذا كانت النفوس تسر بالمنافع المادية الفانية فإن الأنبياء والمرسلين ومن تابعهم بإحسان هم أعظم الخلق نفعًا للبشر فلولاهم لصار الناس مثل البهائم، وفقدت الحياة بهجتها الحقيقية، وأصبحت الشهوات عبارة عن لذة ساعة وألم دهر، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. الوردة سرعان ما تذبل وتفقد رائحتها الطيبة بعكس كلمات الإيمان التي أحيا الله بها صرعى شياطين الإنس والجن وفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، إن القرآن هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم لا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ولا تزيغ به الأهواء، من عمل به أجر ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله.

وقد أُوتي النبي ﷺ جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه، وهو خير من نطق بالضاد، وتكلم سلفنا الصالح لعز الإسلام ونجاة النفوس، ورضا الرحمن ولذلك كانت كلماتهم أبرك من كلمات من جاء بعدهم، فيها هدى ونور وتكاد تنبض بالحياة، ولا عجب في ذلك فإن القلوب لما صحت وسلمت بالعلم النافع والعمل الصالح نطقت الألسنة بالحكمة، واللسان ترجمان لما في القلب.

إن الورود تتواجد في الحقول والبساتين تباع في محلات الزهور، والباقات التي قدمناها تجدها متناثرة في كتب التفسير والسير والتراجم والوعظ والرقائق... ومن أعظم هذه الكتب المؤلفة كتاب: «نضرة النعيم» الذي اعتنى بإيراد الآيات والأحاديث المتعلقة بالأخلاق الفاضلة والمذمومة كما أورد الكثير من أقوال أهل العلم، وما زاد دوري إلا على نقل هذه الأقوال فلم أجمعها ولم أرتبها، ولكن فقط استحسنت وكنت كالمناول لباقات الورود لغيره حتى أنشر عبيرًا حفيقيًا وعطرًا يسر القلوب والأرواح، ولعلمي بأن السهم الواحد ثلاثة يدخول به الجنة وأن الدال على الخير كفاعله، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها، ولأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم، فاحرص رحمك الله على الانتفاع بهذه الباقات والتأسي بهذه الورود العطرة وانقل شذاها للآخرين فالتشبه بالصالحين صلاح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتب

سعيد عبد العظيم

الباقة (١)

حلقات بين التعليقات

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه... أما بعد:

قال يحيى بن معاذ: «ليكن حظ المؤمن منك ثلاثًا: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تُفرِحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه».

«عمل كالسراب، وقلب من التقوى خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب والأتراب؟ هيهات، أنت سكران بغير شراب، ما أكملك! لو بادرت أملك، ما أجلَّك! لو بادرت أجلك، ما أقواك! لو خالفت هواك».

«اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان، ويهرب منك بالقلوب، يا أكرم الأشياء علينا، لا تجعلنا أهون الأشياء عليك».

«الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب: إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همة».

«إلهي حُجتي حاجتي، وعُدتي فاقتي، وسيلتي إليك نعمتُك عليَّ، وشفيعي إليك إحسانُك إليَّ».

«الكلام الحسِن حسن، وأحسن من الحسن معناه، وأحسن من معناه استعماله، وأحسن من استعماله ثوابه، وأحسن من ثوابه رضا من يُعمل له -أي رضا الله تعالى عن عبده».

«ذنب أفتقر به إليه أحب إليَّ من طاعة أفتخر بها عليه فرب طاعة أورثتْ عزًا واستكبارًا ورب معصية أورثتْ ذلًا وانكسارًا».

«على قناطر الفتن جاوزوا إلى خزائن المِنن، إلهي كيف أفرح وقد عصيتُك؟ وكيف لا أفرح وقد عرفتك؟ وكيف أدعوك وأنا خاطئ؟ وكيف لا أدعوك وأنت كريم؟».

«مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما في مال العبد عند موته، يُؤخذ منه كله، ويُسأل عنه كله».

قال عبد الرحمن بن مهدي: «كان يُقال إذا لقى الرجل من فوقه في العلم، كان يوم غنيمة، وإذا لقى من هو مثله دارسه وتعلم منه، وإذا لقى من هو دونه تواضع له وعلمه».

وقال: ««لولا أني أكره أن يُعصى الله تمنيت أن لا يبقى في هذا المصر أحد إلا وقع فيَّ واغتابني، فأي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم يعملها ولم يعلم بها».

وقال: «والله لا تجد فقْدَ شيء تركته ابتغاء وجه الله، كنت أنا وأخي شريكين فأصبنا مالًا كثيرًا فدخل قلبي من ذلك شيء فتركته لله، وخرجت منه، فما خرجت من الدنيا حتى رد الله عليَّ ذلك المال عامّته إليَّ وإلى ولدي، زوّج أخي ثلاث بنات من بنيَّ وزوجت ابنتي من ابنه، ومات أخي فورثه أبي، ومات أبي فورثته أنا،فرجع ذلك كله إليّ وإلى ولدي في الدنيا».

«احذر أن يأخذك الله وأنت على غفلة، واعلم أن من ضعف اليقين أن تُرضي الناس بسخط الله، وتدبر ما قاله البعض: دعوتُ نفسي إلى الله فأبت عليَّ واستعصت فتركتها ومضيت إلى الله عزَّ وجلَّ، اللهم أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا تكلني إلى أحد من خلقك».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢)

الحيـــاء

١- **قال أبو بكر الصديق** رضي الله عنه وهو يخطب الناس: «يا معشر المسلمين: استحيوا من الله، فوالذي نفسي بيده إنّي لأظل حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياء من ربي عَزَّ وَجَلَّ».

٢- **قال عمر** رضي الله عنه : «مَنْ قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومَنْ قلَّ ورعه مات قلبه».

٣- **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه : «مَنْ لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله».

٤- **قال عليّ**: «كنت رجلًا مذّاء فاستحييتُ أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرتُ المقداد بن الأسود فسأله فقال: «**فيه الوضوء**».

٥- **عن الزبير بن العوام** رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحُد، أقبلتْ امرأة تسعى، حتى إذا كادت أن تُشرف على القتلى، قال: فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تراهم، فقال: «**المرأة، المرأة**». قال الزبير: «فتوسمتُ أنها أمي صفية»، قال: فخرجت أسعى إليها فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فلدمتني في صدري -أي ضربتني ودفعتني- وكانت امرأة جلدة قالت: «إليك لا أرض لك» قال: فقلتُ: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم عليك»، قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها، فقالت: «هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة فقد بلغني مقتله، فكفنوه فيهما»، قال: فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل قد فُعِلَ به كما فُعِلَ بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نُكفن حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له، فقلنا: «لحمزة ثوب، وللأنصاري ثوب». فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما فكفَّنَّا كل واحد منهما في الثوب الذي صار له.

٦- **عن أبي موسى** رضي الله عنه قال: اختلف في الغسل، إذا قعد بين شعبها ولم ينزل، رهط من المهاجرين والأنصار. فقال الأنصاريون: «لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء»، وقال المهاجرون: «بل إذا خالط فقد وجب الغسل»، قال: قال أبو موسى: «فأنا أشفيكم من ذلك». فقمتُ فاستأذنتُ على عائشة فأُذِنَ لي فقلت لها: «يا أمّاه -أو يا أم المؤمنين- إني أريد أن أسألك عن شيء، وإني أستحييك»، فقالت: «لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلًا عنه أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك»، قلت: «ما يوجب الغسل؟»، قالت: «على الخبير سقطت»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا جلس بين شعبها الأربع، ومس الخِتَانُ الخِتَانَ فقد وجب الغسل**».

٧- عن عائشة رضي الله عنها أنها ضافت ضيفًا فأمرت بملحفة صفراء فنام فيها فاحتلم، فاستحيا أن يرسل بها وبها أثر الاحتلام فغمسها في الماء، ثم أرسل بها فقالت عائشة: «لِمَ أفسد علينا ثوبنا؟، إنما كان يكفيه أن يفركه بأصابعه، وربما فركته من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصبعي».

٨ - **قال إياس بن قُرة:** كنْتُ عند عمر بن عبد العزيز فذكر عنده الحياء فقالوا: «الحياء من الدين»، فقال عمر: «بل هو الدين كُله».

٩ - **قال وهب بن منبه:** «الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله العفة».

١٠ - **قال مجاهد:** «لا يتعلم العلم مُستحي ولا مُستكبر».

١١ - **قال الحسن البصري:** «الحياء والتكرم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبد إلا رفعه الله بهما».

١٢ - **عن شقيق بن سلمة** (أبي وائل) رحمه الله قال: خرجنا في ليلة مخوفة، فمررنا بأجمةٍ فيها رجل نائم، وقيد فرسه فهي ترعى عند رأسه فأيقظناه، فقلنا له: «تنام في مثل

هذا المكان؟»، قال: فرفع رأسه فقال: «إني أستحي من ذي العرش أن يعلم أني أخاف شيئًا دونه»، ثم وضع رأسه فنام .

١٣ - **قال الفضيل بن عياض:** «خمس من علامات الشقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل».

١٤ - **من كلام بعض الحكماء:** «أحيوا الحياء بمجالسة من يُستحيى منه، وعمارة القلب بالهيبة والحياء، فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير».

١٥ - **وقال ذو النون المصري:** «الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك، والحب يُنطق والحياء يُسكت، والخوف يُقلق».

١٦ - **قال السريُّ** (الرفاء): «إنَّ الحياء والأنس يطرقان القلب، فإن وجدا فيه الزهد والورع حلا فيه، وإلا رحلا».

١٧ - **نقل ابن القيم** (رُبما عن كُتب السابقين) الآثار الآتية في الحياء: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : «عظ نفسك فإن اتعظت وإلا فاستحي مني أن تعظ الناس».

١٨ - **وفي أثرٍ آخر:** يقول الله تعالى: «**يابن آدم، إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك، ومحوت من أُم الكتاب زلاتك، وإلا ناقشتكُ الحساب يوم القيامة**».

١٩ - وفي أثر آخر يقول الرب عزَّ وجلَّ: «**ما أنصفني عبدي، يدعوني عبدي فأستحي أن أرده، ويعصني ولا يستحي منّي**».

٢٠ - **قال يحيى بن معاذ:** «مَنْ استحيا من الله مُطيعًا، استحيا الله منه وهو مُذنب».

٢١ - **قال ابن القيم** في شرح قول يحيى بن معاذ في الأثر السابق: «مَنْ غلب عليه خُلق الحياء من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين يدي ربه إطراق مستحي خجل، فإذا واقع ذنبًا استحيا من الله عزَّ وجلَّ من أن ينظر إليه في تلك الحالة لكرامته عليه، وفي واقع الحياة ما يشهد لذلك، فإن الرجل إذا اطّلع على أخص الناس به، وأحبهم إليه وأقربهم منه، من ولد أو صاحب، أو ممن يحب من غيرهم وهو يخونه، فإنه يلحقه من ذلك الاطلاع حياءٌ عجيب، حتى كأنه هو الجاني، وذلك غاية الكرم. وقد قيل: إن سبب هذا الحياء أنه يُمثل نفسه،في حال طاعته كأنه يعصي الله عزَّ وجلَّ فيستحي منه في تلك الحال ولهذا شُرع الاستغفار عقب الأعمال الصالحة، والقرب التي يتقرب بها إلى الله عزَّ وجلَّ».

وقيل: «إنما يُمثل نفسه خائنًا فليحقُهُ الحياء كما إذا شاهد رجُلًا مضروبًا وهو صديق له، أو من قد أُحصر على المنبر عن ا لكلام، فإنه يخجل أيضًا تمثيلًا لنفسه بتلك الحال، وهذا قد يقع، ولكن حياء من اطلع على محبوبه وهو يخونه ليس من هذا، فإنه لو اطلع على غير من يُحب، لم يلحقه هذا الحياء ولا قريب منه، وإنما يلحقه مقته وسقوطه من عينه، وإنما سبب الحياء - والله أعلم - شدة تعلق قلبه ونفسه به فينزل الوهم فعل حبيبه بمنزلة فعله هو، ولا سيما إن قدر حصول المكاشفة بينهما، هذا في حق الشاهد».

وأما حياء الرب تعالى من عبده فذلك نوع آخر، لا تُدركه الأفهام ولا تكيفه العقول فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال، فإنه -تبارك وتعالى- حييٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام.

٢٢ - **ذكر ابن عبد البر** عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: الحياء نظام الإيمان، فإذا انحل النظام ذهب ما فيه.

٢٣ - **عن معبد الجني** قال في قوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف:٢٦] قال: «لباس التقوى: الحياء».

٢٤ - **وقال الحسن**: «أربع مَنْ كن فيه كان كاملًا، ومَنْ تعلَّق بواحدة منهن كان من صالحي قومه: دين يُرشده، وعقل يسدده، وحسب يصونه، وحياء يقوده».

٢٥ - **قال الأصمعي**: «سمعت أعرابيًا يقول: مَنْ كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه».

٢٦ - **عن عائشة** رضي الله عنها قالت: «إنَّ مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق التأسي في طاعة الله، وإعطاء السائل، ومكافأة الصنيع، وصلة الرحم، وأداء الأمانة، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقِرى الضيف، ورأسهن الحياء».

٢٧ - **قال أبو بكر ابن أبي الدنيا**: (مؤلف مكارم الأخلاق): بدأنا بذكر الحياء لقول أم المؤمنين رضي الله عنها «رأس مكارم الأخلاقِ الحياء».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٣)

آداب الكلام

قال عمر رضي الله عنه: «لا يعجبكم من الرجل طنطنته، ولكن مَنْ أدى الأمانة إلى مَنْ ائتمنه، وسلم الناس من يده ولسانه».

– وقال: «عليكم بطرائف الأخبار، فإنها من علم الملوك والسادة، وبها تنال المعزة والحظوة عندهم».

- **قال عليّ** رضي الله عنه ينصح ابنه: «وإياك أن تذكر في الكلام ما كان مضحكًا، وإن حكيت ذلك عن غيرك».

❁ إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب.

❁ مَنْ لانت كلمته وجبت معيبته.

❁ دليل عقل المرء قوله، ودليل أصله فعله.

❁ إذا تمَّ العقل نقص الكلام.

❁ جودة الكلام في الاختصار.

❁ مَنْ كثر كلامه كثر ملامه.

❁ بكثرة الصمت تكون الهيبة.

❁ سلامة الإنسان من حفظ اللسان.

❁ ما ندم مَنْ سكت.

❁ قول المرء يخبر عمّا في قلبه.

❁ **قال عمرو بن العاص** رضي الله عنه : «الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن كثرت منه قتل».

❁ قيل لعمرو بن العاص رضي الله عنه : من أبلغ الناس؟، قال: «أقلهم لفظًا، وأسهلهم معنى، وأحسنهم بديهة».

❁ **قال معاوية** رضي الله عنه : «ما رأيتُ أبلغ من عائشة رضي الله عنها ، ما أغلقتُ بابًا فأرادت فتحه إلا فتحته، ولا فتحتُ بابًا فأرادت إغلاقه إلا أغلقته».

❁ **قال عمرين عبد العزيز** رحمه الله: «القلوب أوعية، والشفاة أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل إنسان مفتاح سره».

❁ **عن الحسن** قال: جلسوا عند معاوية فتكلموا وسكت الأحنف، فقال معاوية: ما لك لا تتكلم أبا بحر؟، قال: أخافك إن صدقت، وأخاف الله إن كذبت.

❁ **قال أبو الدرداء:** انصف أذنيك من فيك، فإنما جعل لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تقول.

❁ **قال الإمام الشافعي:** «مَنْ سمع بأذنه صار حاكيًا، ومَنْ أصغى بقلبه كان واعيًا، ومَنْ وعظ بفعله كان هاديًا».

❁ **وقال لصاحبه الربيع:** يا ربيع! لا تتكلم فيما لا يُعنيك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها.

❁ قال الإمام أحمد بن حنبل: «إذا رأيتم مَنْ يحب الكلام فاحذروه».

❁ **قال الأحنف بن قيس:** «رأس الأدب المنطق، ولا خير في قول إلا بعقل، ولا في مال إلا بجود».

❁ وقال: «مَنْ لم يصبر على كلمة سمع كلمات».

❁ **قال الشعبي** فيما يصف به عبد الملك بن مروان: «والله ما علمته إلا آخذًا بثلاث وتاركًا لثلاث: أخذ بحسن الحديث إذا حَدث، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث وبأيسر المؤونة إذا خولف، تاركًا لمجاوبة اللئيم، ومرارة السفيه، ومنازعة اللحوح».

❁ **قال البحتري:** «خير الكلام ما قلَّ وجلَّ ودل ولم يمل».

❁ **قال الأخطل:** «والقول يُنفذ ما لا تُنفذ الأيدي».

❁ **قال أكثم بن صيفي:** «مقتل الرجل بين فكيه».

❁ حكى أن رجلًا شيخًا أتى سعيد بن سليم وكلمه في حاجة وما شاء، فوضع الشيخ دح (طرف) عصاه التي يتوكأ عليها على رجل سعيد حتى أدماه، فما تأوه لذلك وما نهاه، فلما فارقه قيل له: كيف صبرت على هذا منه؟ خفت أن يعلم جنايته فينقطع عن ذكر حاجته.

❁ **قال الحسن البصري:** «حَدِّثُوا الناس متى أقبلوا عليكم بوجوههم».

❁ **قال سهل بنِ هارون:** «مَنْ تقلَّ عليك بنفسه، وغمك بسؤاله فأعره أذنًا صمّاء وعينًا عمياء».

❁ **قال فخر الدين الرازي:** «اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التقيد».

❁ **قال أبو عبد الله وزير المهدي:** «البلاغة ما فهمته العامة، ورضيت به الخاصة».

❁ كان أعرابي يُجالس الشعبي يطيل الصمت، فقال له يومًا: لماذا لا تتكلم؟، فقال: أسمع لأعلم، وأسكت لأسلم.

❁ **قال عامر بن عبد القدوس:** «إذا خرجت الكلمة من القلب دخلت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان».

❁ **قال شيب بن شبه:** «مَنْ سمع لكلمةٍ يكرهها فسكت عنها، انقطع ضرها عنه».

❁ **قال يزيد بن أبي حبيب:** «إنما غضبي في فعلي فإذا سمعت ما أكره أخذتها ومضيت».

❁ **قال حاتم الأصم:** «إذا جاءت مسألة جدال أسلمتها إليهم، واخترت السلامة».

❁ **قال الأوزاعي:** «إذا أراد الله بقومٍ سوءًا أعطاهم الجدل ومنعهم العمل».

❁ **قال عطاء بن أبي رباح:** «إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له كأني لم أسمعه قط، وقد سمعت به من قبل أن يولد».

❁ قيل لرجل: بما سادكم الأحنف؟ فوالله ما كان بأكبركم سنًا، ولا أكثركم مالًا، فقال: بقوة سلطانه على لسانه.

مما قيل:

❁ مَنْ أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه.

❁ لا تفتح بابًا يُصيبك سده، ولا ترم سهمًا يعجزك رده.

❁ اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده، والكلام سهم نافذ لا يمكن رده.

❁ عند الجدال يظهر فضل الرجال.

❁ رُبَّ عين ألم من اللسان.

❁ إياك أن يضرب لسانك عنقك.

❁ ربما كان السكوت جوابًا.

❁ لكل مقامٍ مقال.

❁ إياك وفضول الكلام، فإنه يظهر عن عيوبك ما بطن، ويحرك من عدوك ما سكن.

❁ لسانك عبدك، فإذا تكلمت صرت عبده.

❁ الكلمة أسيرة في وثاق الرجال، فإذا تكلم بها صار في وثاقها.

❁ قيل لبعضهم ما البلاغة؟، قال: إيجاز الكلام، وحذف الفضول، وتقريب البعيد.

❁ رُبّ حرب شنت من لفظة.

❁ كثير القول ينسى بعضه بعضًا.

❁ مَنْ كثر كلامه زلَّ.

❁ إذا ازدحم الجواب خفي الصواب.

❁ رُبّ كلمة سلبتْ نعمة.

❁ صمت تسلم به خير من نُطق تندم عليه.

❁ مَنْ سكت عن جاهل فقد أوسعه جوابًا وأوجعه عتابًا.

❁ مَنْ أسرع في الجواب أخطأ في الصواب.

بعض آفات الكلام:

الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعنيك.

الآفة الثانية: **فضول الكلام:** وهو ما يتناول الخوض فيما لا يُعني، والزيادة فيما يُعني.

الآفة الثالثة: الخوض في الباطل: وهو الكلام في المعاصي، كحكاية أحوال النساء، ومجالس الخمر، ومقامات الفساق....

الآفة الرابعة: المراء والجدال: فالمراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه. أما المجادلة فيقصد بها إفحام الغير وتعجيزه، وتنقيصه بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل....

الآفة الخامسة: الخصومة: وهي تأتي من وراء المراء والجدال.

الآفة السادسة: التقعر في الكلام: وهو تكلف السجع والفصاحة، والتصنع فيه بالتشبيهات والمقامات....

الآفة السابعة: الفحش والسب وبذاءة اللسان: وهو مفهوم ومنهي عنه، ومصدره الخبث واللؤم.

الآفة الثامنة: اللعن لإنسان أو حيوان أو جماد: فكل ذلك مذموم.

الآفة التاسعة: الشِعْر: كلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح، وإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستنكر.

الآفة العاشرة: المزاح: مذموم منهي عنه إلا قدرًا يسيرًا منه، والإفراط فيه يُورث كثرة الضحك، وكثرة ا لضحك تُميت القلب، وتُورث الضغينة في بعض الأحوال، وتُسقط المهابة والوقار.

الآفة الحادية عشر: السخرية أو الاستهزاء: ومعناها الاستهانة والتحقير، والتنبيه إلى العيوب والنقائص على وجهٍ يضحك منه، وقد يكون بالمحاكاة في الفعل أو بالقول أو بالإشارة أو بالإيماء...

الآفة الثانية عشر: **إفشاء السر**: وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء، والتهاون بحق المعارف والأصدقاء.

الآفة الثالثة عشر: **الوعد الكاذب**: وذلك من أمارات النفاق.

الآفة الرابعة عشر: **الكذب في القول واليمين**: وهو من قبائح الذنوب، وفواحش العيوب.

الآفة الخامسة عشر: **الغيبة**: وقد ذمها الله تعالى وشبه صاحبها بأكل لحم الميت.

الآفة السادسة عشر: **النميمة**: وهي إفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه.

الآفة السابعة عشر: **كلام ذي اللسانين**: الذي يتردد بين المتعاديين، ويكلم كل واحد منهما بكلامٍ يُوافقه.

الآفة الثامنة عشر: **المدح والذم**: فالمدح منهي عنه في بعض المواضع، أم الذم فهو الغيبة والوقيعة.

الآفة التاسعة عشر: الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام، لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته، ويرتبط بأمور الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٤)

معاني الأُخوّة

❁ **قال عمر** رضي الله عنه : «إذا رزقك الله مودة امرئ فتشبث بها».

❁ لقاء الإخوان جلاء الأحزان.

❁ لا حبك كلفًا ولا غضبك تلفًا.

❁ عليكم بإخوان الصدق فاكتسبوهم فإنهم زين في الرجاء، وعدة عند البلاء.

❁ **قال عليّ** رضي الله عنه : «على الصديق أن لا يلقى صديقه إلا بما يحب».

❁ لا راحة لحسود، ولا إخاء لملول، ولا محب لسيء الخُلق.

❁ يسعد الرجل بمصاحبة السعيد.

❁ لا تقطع أخاك على ارتياب، ولا تهجره دون استعتاب.

❁ شرط الألفة ترك الكلفة.

❁ وأكثر من الإخوان ما استطعت، إنهم عماد إذا استنجدتهم.

❁ أخوك مَنْ واساك في الشدة.

❁ خير الأصحاب مَنْ يدلك على ا لخير.

❁ عدو عاقل خير من صديق جاهل.

❁ خليل المرء دليل عقله.

❁ جليس الخير غنيمة، وجليس السوء شيطان.

❁ صَاحب ا لأخيار تأمن من الأشرار.

❁ مصاحبة الأشرار كركوب البحار.

❁ وحدة المرء خير من جليس السوء.

❁ قيل لمعاوية ما النذالة؟، قال: «الجرأة على الصديق، والنكول على العدو».

❁ **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: «أحب إخواني إليّ أخ إن غبت عنه عذرني، وإنْ جئته قبلني».

❁ **قال الإمام أبو حنيفة** لتلميذه يوسف بن خالد الثمني: «لا تثقْ بصحبة أحد حتى تمتحنه ولا تُخادن خسيسًا ولا وضيعًا، ولا تألفنَّ ما ينكر عليك في ظهره».

❁ وقال له أيضًا: «ومن مرض من إخوانك فعُده بنفسك وتعاهده برسلك، ومَنْ غَابَ عنهم افتقدت أحواله، ومَنْ قعد منهم عنك فلا تقعد أنت عنه».

❁ **وقال الإمام الشافعي**: «ليس بأخيك مَنْ احتجت إلى مداراته».

❁ وقال: «مَنْ صدَّق في أخوة أخيه قَبل علله، وسدَّ خلله، وغفر زلله».

❁ وقال: «الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء، والانقباض عنهم مكسبة للعدواة فكنْ بين المنقبض والمنبسط».

❁ وقال: «صحبة مَنْ لا يخاف العار، عار يوم القيامة».

❁ **قال أبو الدرداء**: «إذا عوج أخوك فلا تتركه لأجل ذلك، فإن الأخ يعوج مرة ويستقيم مرة».

❁ **قال عبد الله بن طاهر**: «لا دواء لمن لا حياءَ له، ولا حياء لمن لا وفاءَ له، ولا وفاء لمن لا إخاء له».

❁ **قال الأحنف بن قيس**: «حق الصديق أن يحتمل له ظلم الغضب وظلم الهفوة».

❁ وكتب إلى صديق له قال: «أما بعد، فإذا قدم عليك أخ موافق لك، فليكن منك مكان سمعك وبصرك، فإن الأخ الموفق أفضل من الولد المخالف».

❁ قيل للفضل: ما الفُتوة؟، قال: «الصفح عن عثرات الإخوان».

❁ **قال معاوية بن قرة:** «نظرتُ في المودة والإخاء فلم أجد أثبت مودة من ذي أصل».

❁ **قال مجاهد:** «إني لأنتقي الإخوان كما أنتقي أطايب الثمر».

❁ سُئِل خالد بن صفوان: أي إخوانك أوجب عليك حقًا؟. فقال: «الذي يسد خلتي، ويغفر زلتي ويقيل عثرتي».

❁ وقيل له: أخوك أحب إليك أم صديقك؟، فقال: «إنَّ أخي إذا كان غير صديق لم أحبه».

وصف البعض الصديق فقال: «ومن الأسباب المتمناة في الحب أن يهب الله عَزَّ وَجَلَّ للإنسان صديقًا مخلصًا، لطيف القول، متمكن البيان، مرهف الحس، جليل الحلم، واسع العلم، قليل المخالفة، عظيم المساعفة، جم الموافقة، جميل المحالفة، مستوي المطابقة، محتوم المساعدة، كارهًا للمباعدة، طيب الأخلاق، سري الأعراق، مكتوم السر، كثير البر، صحيح الأمانة، مأمون الخيانة، كريم النفس، نافذ الحس، صحيح الحدس، ثابت القريحة، مبذول النصيحة، مستيقن الوداد، سهل الانقياد، حسن الاعتقاد، واسع الصدر، متخلقًا بالصبر».

سُئل بعض الحكماء: أي الإخوان خير؟، قال: مَنْ صادقك بالإحسان، وصان سرك بالكتمان، قيل فأيهم شر؟، قال: «البذئ اللسان، الكثير الامتنان، الواشي بسرك في كل مكان».

❁ لا يجد العَجُول فرجًا، ولا الغَضُوب سرورًا، ولا المَلُول صديقًا.

❁ بخفض الجانب تأنس النفوس.

❁ بحسن المعاشرة تدوم المحبة.

❁ لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة في استصلاحه.

❁ قيل لبعضهم: ما الصاحب المخادع؟، قال: «مَنْ أظهر شكرك فيما لم تأتِ إليه».

❁ قيل لبعض الولاة: كم صديقًا لك؟، قال: «لا أدري، الدنيا مقبلة عليّ والناس كلهم أصدقائي، وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عني».

❁ تناسى مساوئ الإخوان يدم لك ودهم.

❁ إن لم يكن وفاق ففراق.

❁ الجاهل عدو نفسه، فكيف يكون صديق غيره.

❁ إنَّ أخاك مَنْ واساك.

❁ كثرة التقرب من الناس تجلب السوء.

❁ لعل له عذرًا وأنت تلوم.

❁ معاتبة الإخوان خير من فقدهم.

❁ مَنْ سقطتْ كلفته دامتْ ألفته.

❁ فرط الأنس يذهب المهابة، والانقباض يضيع المودة.

❁ ظاهر العتاب خير من باطن الحقد.

❁ اعتزال العامة مروءة تامة.

الباقة (٥)

تلاوة القرآن الكريم

١ - **عن إياس بن عامر** يقول: أخذ عليٌّ بن أبي طالب بيدي ثم قال: «إنك إن بقيت سيقرأُ القرآن ثلاثة أصناف: فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومن طلب به أدرك».

٢ - **عن أبي عبد الرحمن السلمي**: أن عليًّا كان يحث عليه ويأمر به -يعني السِّواك- وقال: «إن العبد إذا قام يصلي أتاه الملك فقام خلفه يستمع القرآن فلا يزال يستمع ويدنو حتى يضع فاه على فيه فلا يقرأ آية إلا كانت في جوف الملك».

٣ - **عن عليّ** رضي الله عنه قال: «من الناس مَنْ يؤتى الإيمان ولا يُؤتى القرآن، ومنهم مَنْ يُؤتى القرآن ولا يُؤتى الإيمان، ومنهم مَنْ يُؤتى القرآن والإيمان، ومنهم مَنْ لا يُؤتى القرآن ولا الإيمان، ثم ضرب لهم مثلًا قال: فأما مَنْ أوتى الإيمان ولم يؤت القرآن فمثله مثل: التمرة حلوة الطعم لا ريح لها، وأما مثل الذي أوتى القرآن ولم يُؤت الإيمان، فمثل الآسة طيبةُ الريح مُرة الطعم، وأما الذي أوتى القرآن والإيمان فمثل الأُترجة طيبةُ الريح حُلوة الطعم، وأما الذي لم يؤت القرآن ولا الإيمان، فمثل الحنظلة مُرة الطعم لا ريح لها».

٤ - **عن أيوب**، عن أبي جمرة الصنيعي قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة إني أقرأ القرآن في ثلاث، قال: «لأن أقرأ البقرة في ليلةٍ، فأتدبرها وأرتلها، أحب إليّ من أن أقرأ كما تقول».

٥ - **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: «ما يمنع أحدكم إذا رجع من سوقه أو من حاجته، فاتكأ على فراشه، أن يقرأ ثلاث آيات من القرآن».

٦ ـ **عن معاذ بن جبل** رضي الله عنه قال: «سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قُلوب الذئاب، أعمالهم طمعٌ لا يُخالطهُ خوفٌ، إن قصروا قالوا سنبلغ، وإن أساءوا قالوا: سيُغفر لنا إنّا لا نُشرك بالله شيئًا».

٧ ـ **عن عبد الله** رضي الله عنه قال: «غدونا على عبد الله فقال رجل: قرأتُ المفصل البارحة، فقال: هذًا كهذ الشّعر إنا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظ القرناء التي كان يقرأ بهن النبي صلى الله عليه وسلم: ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم».

٨ ـ **عن أبي موسى** رضي الله عنه أنه قال: «إن هذا القرآن كائن لكم أجرًا، وكائن لكم ذكرًا، وكائن بكم نُورًا، وكائن عليكم وزرًا، اتبعوا هذا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن، فإنه مَنْ يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة، ومَنْ أتبعه القرآن يزجُ في قفاه فيقذفه في جهنم»، قال أبو محمد: يزجُ: يَدفع.

٩ ـ **عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: «مَنْ قرأ في ليلة عشر آيات، كُتِبَ من الذاكرين، ومَنْ قرأ بمائة آيةٍ، كُتِبَ من القانتين، ومَنْ قرأ بخمسمائة آية إلى الألف، أصبح وله قنطارٌ من الأجر. قيل: وما القنطار؟، قال: ملء مسك الثور ذهبًا».

١٠ ـ **عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: «ما من بيت يُقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط».

١١ ـ **عن الشعبي** قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «مَنْ قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يُصبح: أربعٌ من أولها، وآية الكرسي، وآيات بعدها، وثلاث خواتيمها أولها ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾».

١٢ - **عن مسروق** قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إله غيره، ما أُنزلت سورةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أُنزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أُنزلت ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه».

١٣ - **عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: «أكثروا من تلاوة القرآن قبل أن يُرفع»، قالوا: «هذه المصاحف تُرفع، فكيف بما في صدور الرجال؟»، قال: «يُسرى عليه ليلًا فيصبحون منه فقراء، وينسون قول لا إله إلا الله، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم، وذلك حين يقع عليهم القول».

١٤ - **عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: «تعلموا القرآن واتلوه، فإنكم تؤجرون به، إن بكل اسم منه عشرًا أما إني لا أقول بـ «آلم» عشرٌ، ولكن بالألف عشرٌ، وباللام عشرٌ وبالميم عشرٌ».

١٥ - **عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: «لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة».

١٦ - **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يُحل حلاله، ويُحرم حرامه، ويقرأهُ كما أنزله الله، ولا يُحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأوَّل منه شيئًا على غير تأويله».

١٧ - **عن عائشة** رضي الله عنها قالت: «كان أبو بكر إذا قرأ القرآن كثير البكاء» زاد بعضهم: « في صلاة وغيرها».

١٨ - **عن عائشة** رضي الله عنها قالت: « القرآن أكرم من أن يُزيل عقول الرجال».

١٩ - **قال الآجروي:** «وروى عن أم الدرداء أنها قالت: سألت عائشة عمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن، ما فضله على مَنْ لم يقرأه؟، فقالت عائشة: « إن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن، فمَنْ دخل الجنة ممن قرأ القرآن فليس فوقه أحد».

٢٠ - عن عروة بن الزبير؛ أن عائشة زوج النبي ﷺ؛ قالت: «لم أعقل أبواي إلا وهما يدينان الدِّين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، فكان يُصلي فيه ويقرأ القرآن، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلًا بكّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين».

٢١ - عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «ما كان أحدٌ من السلف يُغشى عليه ولا يُصعق عند قراءة القرآن، وإنما يبكونِ ويقشعرون، ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله».

٢٢ - عن كعب رضي الله عنه قال: « عليكم بالقرآن، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهدًا»، وقال في التوراة: «يا محمد! إني منزل عليك توراة حديثة تفتح فيها أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا».

٢٣ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «مَنْ جمع القرآن فقد حمل أمرًا عظيمًا، لقد أُدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يُوحى إليه، فلا ينبغي لحامل القرآن أن يحدّ مع مَنْ يحدُّ، ولا يجهلُ مع مَنْ يجهل، لأن القرآن في جوفه».

٢٤ - عن ثابت رضي الله عنه قال: «كان عبد الرحمن بن أبي ليلى إذا صلى الصبح قرأ المصحف حتى تطلع الشمس، وقال: وكان ثابتٌ يفعله».

٢٥ - عن مجاهد في قول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ قال: على تؤدة.

٢٦- قال محمد بن الحسين: « والقليل من الدرس للقرآن، مع الفكر فيه وتدبره، أحبُّ إليَّ من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبرٍ ولا تفكرٍ فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك، والسُّنَّة وقول أئمَّة المُسلمين».

٢٧ - **وقال محمد بن الحسين أيضًا:** « أحق الناس باستعمال هذا التعظيم بعد رسول الله ﷺ أهل القرآن، إذا جلسوا لتعليم القرآن يريدون به الله عزَّ وجلَّ».

٢٨ - **عن مجاهد قال:** «إذا تثاءبت وأنت تقرأ فأمسك حتى يذهب عنك».

٢٩ - **عن قتادة** رضي الله عنه قال: «اعمروا به قلوبكم، واعمروا به بيوتكم»، قال: «أراه يعني القرآن».

٣٠ - عن قتادة رضي الله عنه قال: «ما جالس القرآن أحدٌ فقام عنه إلا بزيادة أو نقصان»، ثم قرأ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾.

٣١ - **عن قتادة** رضي الله عنه في قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ قال: البلد الطيب: المُؤمن سمع كتاب الله فوعاه فأخذ به فانتفع به، كمثل هذه الأرض، أصابها الغيث فأنبتت وأمرعت ﴿ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ عسرًا مثل الكافر قد سمع القرآن فلم يعقله ولم يأخذ به ولم ينتفع به، كمثل هذه الأرض الخبيثة، أصابها الغيث فلم تنبت شيئًا، ولا تمرع شيئًا.

٣٢ - **عن سفيان** رضي الله عنه قال لي ابن شبرمة: « نظرت كم يكفي الرجل من القرآن، فلم أجد سورة أقل من ثلاث آياتٍ، فقلت: لا ينبغي لأحدٍ أن يقرأ أقل من ثلاث آياتٍ، قال عليّ: حدثنا سفيان، أخبرنا منصور، عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد؛ أخبره علقمة، عن ابن مسعود ولقيته وهو يطوف بالبيت، فذكر قول النبي ﷺ : «**إنه مَنْ قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليله كفتاه**».

٣٣ - **عن زاذان قال:** «مَنْ قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظيم ليس عليه لحم».

٣٤ ـ **عن أبي المليح**؛ قال: كان ميمون بن مهران يقول: «لو صلح أهل القرآن صلح الناس».

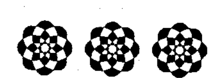
٣٥ ـ **عن الحسن بن محمد الصباح الزعفراني**- من أصحاب الشافعي- قال: «الزموا كتاب الله، وتتبعوا ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل البصر»، ثم قال: «رحم الله عبدًا عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإنْ وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه، ورجع من قريب».

٣٦ ـ **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: مَنْ قرأ القرآن لم يُرَدَّ إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، قال: «الذين قرأوا القرآن».

٣٧ ـ **عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: «عليك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه روحك في أهل السماء وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق فإنك تغلب الشيطان».

٣٨ ـ **عن جندب قال**: «أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالقرآن، فإنه نور بالليل المُظلم، وهدى بالنهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة، فإن عرض بلاءٌ فقدّم مالك دون دينك، فإن تجاوز البلاء فقدّم مالك ونفسك دون دينك، فإن المخروب مَنْ خُرب دينه، والمسلوب مَنْ سُلب دينه، واعلم أنه لا فاقه بعد الجنة ولا غنى بعد النار».

٣٩ – وعنه رضي الله عنه أيضًا: «كنا غلمانًا حزاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا».



الباقة (٦)

التواضع

١- **قال المسيح** عليه السلام: «طُوبى للمتواضعين في الدنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة».

٢- **قال أبو بكر الصديق** رضي الله عنه: «وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع».

٣ - **خرج عمر بن الخطاب** رضي الله عنه إلى الشام ومعه أبو عبيدة ابن الجراح، فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها، وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين! أنت تفعل هذا؟، تخلع خفيك، وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟، ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك». فقال عمر: «أَوَّه، لو يقل ذا غيرك أبا عُبيدة جعلته نكالًا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، إنا كنا أذل قومٍ فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله».

٤ - **عن عائشة** رضي الله عنها قالت: «تغفلون أفضل العبادة: التواضع».

٥ - **عن جرير بن عبد الله** رضي الله عنه أنه قال له سلمان رضي الله عنه: «يا جرير! تواضع لله، فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة».

٦ - **عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: «مَنْ تواضع لله تخشعًا رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظمًا وضعه الله يوم القيامة».

٧ - سُئل الحسن البصري عن التواضع؟ فقال: «التواضع أن تخرج من منزلك، ولا تلقى مُسلمًا إلا رأيت له عليك فضلًا».

٨ - قيل لعبد الملك بن مروان: «أيُّ الرجال أفضل؟، قال: مَنْ تواضع من قُدْرة، وزَهِدَ عن رغبة».

٩ - قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «رأس التواضع، أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تُعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل».

١٠ - سُئل الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ عن التواضع؟، فقال: «يخضع للحق، وينقاد له ويقبله ممن قاله، ولو سمعه من صبي قَبِلَهُ، ولو سمعه من أجهل الناس قَبِلَهُ».

١١ - قال كعب: «ما أنعم الله على عبد من نعمة فيراها لله، وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع بها درجته في الآخرة».

١٢ - قال الجنيد بن محمد: «التواضع هو خفض الجناح، ولين الجانب».

١٣ - قال عروة بن الورد: «التواضع أحد مصايد الشرف، وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع».

١٤ - عن عمر بن شيبة؛ قال: «كنت بمكة بين الصفا والمروة، فرأيت رجُلًا راكبًا بغلة وبين يديه غلمان يعنفون الناس، قال: ثم عُدت بعد حين فدخلت بغداد، فكنت على الجسر، فإذا أنا برجل حافٍ حاسر طويل الشعر، قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمّله، فقال لي: مالك تنظر إليّ؟، فقلت له: شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصِّفة، فقال له: أنا ذلك الرجل، فقلت ما فعل الله بك؟، فقال: إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس، فوضعني الله حيث يترفع الناس».

١٥ - **قال إبراهيم بن شيبان:** «الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والحرية في القناعة».

١٦ - «لا يزال الرجل عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل».

١٧ - **عن ابن مسعود** رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يكلمه فارعدّ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**هون عليك فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد**».

١٨ - عن أنس أن ناسًا قالوا: «يا رسول الله! يا خيرنا وسيدنا وابن سيدنا»، فقال: «**أيها الناس! لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ورسوله، وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجلَّ**».

١٩ - قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا ترفعوني فوق قدري فتقولوا فيّ ما قالت النصارى في المسيح، فإن الله عزَّ وجلَّ اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني رسولًا**».

٢٠ - وكان يقول صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله**».

٢١ - **قال عمر** رضي الله عنه: «أريد رجلًا إذا كان من القوم وهو أميرهم كان كبعضهم وإذا لم يكن أميرهم فكأنه أميرهم».

٢٢ - وقال رضي الله عنه لرجل: «من سيد قومك؟»، قال: «أنا»، قال: «كذبت لو كان كذلك لم تقله».

٢٣ - وكان رضي الله عنه ينهى الولاة عن الاتكاء في مجلس الحكماء وكتب إلى عمرو بن العاص يقول: «وقع إليَّ إنك تتكئ في مجلسك، فإذا جلست فكن كسائر الناس ولا تتكئ».

٢٤ - قال عليّ رضي الله عنه: «سمو المرء في التواضع».

٢٥ - زيارة الضعفاء من التواضع.

٢٦ - جالسْ الفقراء تزد شكرًا.

٢٧ - **قال الإمام الشافعي:** «أرفع الناس قدرًا مَنْ لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله».

٢٨ - **قال الفضيل بن عياض:** «رأس الأدب معرفة الرجل قدره».

٢٩ - قال أبو بكر ابن أبي شيبة: «قيل للعباس بن عبد المطلب: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ»، قال: «هو أكبر منِّي وأنا أسنّ منه».

٣٠ - قيل لأبي وائل: «أيكما أكبر أنت أم الربيع بن خثيم؟»، قال: «أنا أكبر منه سنًا، وهو أكبر منِّي عقلًا».

٣١ - قيل لعبد الله بن المبارك: «ما التواضع؟»، قال: «التكبر على المتكبّرين».

٣٢ - **قال عبد الملك بن مروان:** «أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وعفا عن ذروة، وأنصف عن قوة».

٣٣ - **قال المأمون:** «ما تكبّر أحد إلا لنقص وجده في نفسه، ولا تطاول إلا لوهنٍ أحسه من نفسه».

٣٤ - **قال الحكيم:** «كل ذي نعمة محسود عليها إلا التواضع».

٣٥ - قيل: «فمَنْ وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره، ومَنْ رفعها عن حده وضعه الناس دون حده».



الباقة (٧)

التفكُّـــر

١ - كان لقمان يطيل الجلوس وحده، فكان يمر به مولاه فيقول له: يا لقمان! إنك تُديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك، فيقول لقمان: «إن طُول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليلٌ على طريق الجنة».

٢ - **عن ابن عباس** رضي الله عنهما: «ركعتان مقتصدتان في تفكرٍ خيرٌ من قيام ليلة بلا قلب».

٣ - **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: «أتت قريش اليهود فقالوا: ما جاءكم موسى من الآيات؟، قالوا: عصاه ويده بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى فيكم؟، قالوا: كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى. فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ادعو لنا ربك يجعل لنا الصَّفا ذهبًا، فدعا ربه فنزلت: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] فليتفكّروا فيها».

٤- **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: «تفكّروا في كل شيء، ولا تفكّروا في ذات الله».

٥- **قال عمر بن عبد العزيز:** «الفكرة في نعم الله -عَزَّ وَجَلَّ- من أفضل العبادة».

٦- وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: أنه بكى يومًا بين أصحابه فسُئل عن ذلك؟ فقال: «فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتُها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرةٌ لمن اعتبر، إن فيها مواعظ لمن ادَّكر».

٧- **عن عبد الله بن عُتبة** قال: «سألت أُمَّ الدّرداء: ما كان أفضل عبادة أبي الدّرداء؟»، قالت: «التفكّر والاعتبار».

٨- **عن عامر بن عبد قيس** قال: سمعت غير واحدٍ ولا اثنين من أصحاب محمد ﷺ يقولون: «إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكّرُ».

٩- **عن الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إنَّ من أفضل العمل الورع والتفكر».

١٠- **عن الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «تفكُّر ساعةٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ».

١١- كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: «اعلم أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما فَنِي وإن كان كثيرًا يعدلُ ما يبقى، وإن كان طلبه عزيزًا، واحتمالُ المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خيرٌ من تعجيل راحةٍ منقطعةٍ تعقبُ مؤونة باقية».

١٢- **عن محمد بن كعب القُرظي** قال: «لأن أقرأ في ليلتي حتى أُصبح بإذا زُلزلت، والقارعة، لا أزيد عليهما وأتردد فيهما، وأتفكر أحبُّ إليَّ من أن أهُذَّ القرآن ليلتي هذًّا» أو قال «أنْثُرُهُ نثْرًا».

١٣- **عن طاووسٍ** قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم: «ياروح الله! هل على الأرض اليوم مثلك؟»، فقال: «نعم، من كان منطقه ذِكْرًا، وصمتُهُ فكْرًا، ونظرهُ عبرةً، فإنه مِثْلِي».

١٤- **قال وهب بن مُنبه:** «ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم، وما علم امرؤ قط إلا عمل».

١٥- **قال عبد الله بن المبارك:** «مرَّ رجل براهب عند مقبرة ومزبلة فناداه فقال: ياراهب! إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما مُعتبر، كنز الرجال، وكنزُ الأموال».

١٦- **قال الشيخ أبو سليمان الداراني:** «إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله فيه نعمة ولي فيه عبرة».

١٧- **قال بشر بن الحارث الحافي:** «لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عزَّ وجلَّ».

١٨- **قال مغيث الأسود:** «زُوروا القبور كل يوم تفكركم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها»، وكان يبكي عند ذلك حتى يُرفع صريعًا من بين أصحابه قد ذهب عقله.

١٩- قيل لإبراهيم بن أدهم: «إنك تُطيل الفكرة»، فقال: «الفكرة مُخُ العقل».

٢٠- **قال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر». وقال أيضًا: «صحة النظر في الأمور نجاةٌ من الغرور، والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة، ومشاورةُ الحكماء ثباتٌ في النفس، وقوة في البصيرة، ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تُقدم».

٢١- **عن الفضيل بن عياض** قال: «الفكر مرآةٌ تُريك حسناتك وسيئاتك».

٢٢- **قال أبو سليمان:** «عوّدوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر».

وقال: «الفكر في الدنيا حجابٌ عن الآخرة، والفكر في الآخرة يُورث الحكمة، ويُحيي القلوب».

٢٣- عن امرأة كانت تسكن البادية قريبًا من مكة أنها قالت: «لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها إلى ما قد ادّخر لها في حُجب الغيب من خير الآخرة، لم يصف لهم في الدنيا عيش، ولم تقر لهم في الدنيا عين».

٢٤- **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ومن فكّر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه، فالفكر والخواطر والإرادة والهمة

أحق شيءٍ بإصلاحه من نفسك؛ فإن هذه خاصتك وحقيقتُك التي لا تبتعد أو تقترب من إلهك ومعبودك الذي لا سعادة لك في قُربه ورضاه عنك إلا بها، وكل الشقاء في بُعدك عنه وسخطه عليك، ومن كان في خواطره، ومجالات فكره دنيئًا خسيسًا لم يكن في سائر أمره إلا كذلك».

ومن أقوال الشعراء:

٢٥ - قال سُفيان بن عُيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِذَا المرءُ كانتْ له فكرةٌ ... فَفي كلِّ شيءٍ لهُ عبرةٌ

٢٦ - أنشد بعض الأدباء:

إنِّي رأيتُ عواقبَ الدنيا ... فتركتُ مَا أهوىَ لما أَخشَى

فكرتُ فِي الدنيا وعالِمها ... فإذَا جميعُ أمورِها تَفنى

وبَلوتُ أكثرَ أهلها فإذا ... كلُّ امرئٍ في شأنِه يَسعى

أسنى منازُلها وَأرفعهَا ... فِي العزِ أقربُها مِنْ المهوىَ

تَعفُو مساويهَا محاسنهَا ... لا فرقَ بينَ النَّعي والبُّشرى

وَقدْ مررتُ على القبورِ فما ... ميزتُ بَينَ العبدِ والمولىَ

أتراكَ تَدرِي كمْ رأيتُ مِنْ ... الأَحياءِ ثُم رأيتُهم مَوتى

٢٧ - قال الشاعر:

إذا كنتُ في نعمةٍ فارعهَا ... فإنَّ الذنوبَ تُزيل النعمُ

وحُطْها بطاعة رب العبادِ ... فربُّ العبادِ سريعُ النقمِ

وإياكَ والظلمُ مهما استطعتَ ... فظلمُ العبادِ شديدُ الوخمِ

وَسافرْ بقلبكَ بَينَ الَورىَ ... لتُبصر آثارَ مَنْ قَد ظُلِمَ

الباقة (٨)

جهاد الأعداء

١ - **عن جُندب بن سفيان** رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض المشاهد قد دميت إصبعُهُ فقال:

هَـلْ أَنـتَ إلا إصْبـعٍ دُمـيتْ ... وَفِي سبيلِ اللهِ مَـا لَقيتْ

٢ - **عن سهل بن سعد** رضي الله عنه: أنه سُئل عن جُرح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد؟ فقال: «أما والله إني لا أعرف مَنْ كان يغسلُ جُرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومَنْ كان يسكب الماء، وبما دُووِيَ»، قَال: «كانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَغسِلُهُ، وعَليٌّ يسكُبُ الماء بالمجنِّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم، وكُسرت رباعيتُهُ يومئذٍ، وجُرح وجهُهُ، وكُسرت البيضةُ على رأسِهِ».

٣- عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: «شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين، فلزمتُ أنا وأبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نُفاثة الجُذامِي، فلما التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين، فطفِق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قِبَلَ الكفار. قال عبّاس: وأنا آخذٌ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكُفُّها أن لا يُسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا عباس! نادِ أصحاب السمرة**».

فقال عبّاس: -وكان رجُلًا صيِّتًا- فقلت بأعلى صوتي: «أين أصحاب السمرة؟»، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. فقالوا: «يا لبيْك! يا

لبيْك!». قال: فاقتتلوا والكفّار. والدعوة في الأنصار يقولون: «يا معشر الأنصار!». قال: «ثم قُصِرَتِ الدعوة على بني الحارث ابن الخزرج، فقالوا: «يا بني الحارث ابن الخزرج! يا بني الحارث ابن الخزرج!». فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا حين حمِيَ الوطيس**»، قال: ثُم أخذ رسول الله ﷺ حصياتٍ فرمى بهنّ وجوه الكفّار، ثم قال: «**انهزموا، ورب محمد**». قال: «فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئتِهِ فيما أرى». قال: «فوالله! ما هو إلا أن رماهم بحصياته. فما زلتُ أرى حدَّهم كليلًا وأمرهم مدبرًا».

٤- **عن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**جُعل رزقي تحت ظل رُمحي، وجعل الذلة والصغار على مَنْ خالف أمري**».

٥- **عن بريدة، عن أبيه** رضي الله عنه قال: «غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، قاتل في ثمان منهن».

٦- **عن البراء بن عازب** رضي الله عنهما: أنَّ رجلًا سأله فقال: «أكُنتم وليتم يوم حُنين؟ يا أبا عمارة!» فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولّي. ولكنه انطلق أخفَّاء من الناس وحُسّرٌ إلى هذا الحي من هوازن، وهم قومٌ رُماةٌ. فرموهم برشقٍ من نبلٍ، كأنها رجلٌ من جرادٍ فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان ابن الحارث يقود به بغلته. فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزّل نصرك**». قال البراء: «كنا والله إذا احمرَّ البأسُ نتّقِي به، وإن الشجاع منا للذّي يُحاذي به -يعني النبي - ﷺ».

٧- **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**والذي نفسي بيده! لولا أنَّ رجالًا من المؤمنين لا تطيب لهم أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سريةٍ تغدو في سبيل الله، والذي نفسي بيده! لوددت أني أُقتل في سبيل الله، ثم أُحيا ثم أُقتل، ثم أُحيا ثم أُقتل، ثم أُحيا ثُم أُقتل**».

٨ - **عن عائشة** رضي الله عنها: أن سعدًا قال: «اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذَّبوا رسولك صلى الله عليه وسلم وأخرجوه، اللهم فإني أظن قد وضعت الحرب بيننا وبينهم».

٩- **قال مُجاهد** رحمه الله: قُلت لابن عمر «الغزو»، قال: «إني أُحبُّ أن أُعينك بطائفةٍ من مالي»، قلت: «أوسع الله عليك»، قال: «إن غناك لك، وإني أُحب أن يكون من مالي في هذا الوجه»، وقال عمر: «إن ناسًا يأخذون من هذا المال ليجاهدوا، ثم لا يُجاهدون فمن فعله فنحن أحق بماله حتى نأخذ منه ما أخذ».

١٠ - **قال ابن دقيق العيد:** «الجهاد أفضل الأعمال مُطلقًا؛ لأنه وسيلةٌ إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلتُهُ بحسب فضيلة ذلك، والله أعلم».

١١- **قال العزبن عبد السلام:** «إذا كانت مشقة الغبار عاصمة من عذاب النار، فما الظن بمَنْ بذل ماله وغرر بنفسه في قتال الكفار».

١٢- وقال نقلًا عن بعض أهل العلم: «إنَّ أتم الشرائع، وأكمل النواميس هو الشرع الذي يُؤمر فيه بالجهاد».

١٣- وقال أيضًا: «إنما شَرُفتْ النفقة في سبيل الله؛ لأنها وسيلةٌ إلى أفضل الأعمال بعد الإيمان، وإذا كانت حسنة الوسيلة بسبع مائة فما الظن بحسنة الجهاد في سبيل الله».

١٤- وقال أيضًا: «إنما ضمن الله الرجعة والرضوان، والغفران لمن جاهد في سبيله ابتغاء مرضاته، ونصرة دينه، فإنَّ الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أُريد به وجهه».

١٥- وقال: «لما بذل الشهداء أنفسهم من أجل الله، أبدلهم الله حياة خيرًا من حياتهم التي بذلوها وجعلهم جيرانه، يبيتون تحت عرشه، ويسرحون من الجنة حيث شاءوا، لما انقطعت آثارهم من السُّروح في الدنيا».

١٦- وقال: «يَشْرُفُ البذل بشرف المبذول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين، وأشرفها لشرف ما بذله مع محو الكفر، ومحق أهله، وإعزاز الدين، وصون دماء المسلمين».



الباقة (٩)

التوكل على الله

١- كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

٢- عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾».

٣- قال الزُبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «كان أول مَنْ جهر بالقرآن بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة عبد الله بن مسعود». قال: «اجتمع يومًا أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: والله ما سمعت قُريش هذا القرآن يُجهر لها به قطّ، فمن رجلٌ يُسْمِعُهُمُوهُ؟، قال عبد الله بن مسعود: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك. إنما نريد رجُلًا له عَشِيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله - عزَّ وجلَّ - سيمنعُني، قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريشٌ في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم رافعًا بها صوته ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأمّلوه فجعلوا يقولون ما يقولُ ابن أمِّ عبد؟، قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثَّروا في وجهه فقالوا: هذا الذي خشينا عليك. قال: ما كان أعداءُ الله أهون عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها، قالوا: حسبُكَ فقد أسمعتَهُم ما يكرهُون».

٤- **عن عون بن عبد الله** قال: بينما رجلٌ في بستان بمصر في فتنة ابن الزُّبير مُكتئبًا معه شيء ينكت به في الأرض، إذ رفع رأسه فنسح له صاحب مسحاةٍ، قال له: يا هذا! ما لي أراك مُكتئبًا حزينًا؟، قال: فكأنه ازدراه. فقال: لا شيء. قال صاحب المسحاةِ: أللدنيا، فإن الدنيا عرضٌ حاضرٌ يأكل منها البرُّ والفاجر، والآخرةُ أجلٌ صادقٌ يحكم فيها ملك قادرٌ، يفصل بين الحق والباطل. فلما سمع ذلك منه كأنه أعجبه، قال: لما فيه المسلمون. قال: فإنَّ الله سيُنجيك بشفقتك على المسلمين، وسلْ فمن ذا الذي سأل الله - عزَّ وجلَّ - فلم يُعْطِهِ، ودعاهُ فلم يُجبْهُ، وتوكل عليه فلم يكْفِهِ، أو وَثِقَ به فلم يُنْجِهِ؟، قال: فعلقْتُ لدعاءٍ: اللهم سلّمني وسلّم منّي فتمحّلت، ولم تُصب منهم أحدًا».

٥- **قال سعيد بن جُبير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوكل على الله عزَّ وجلَّ جماعُ الإيمان».

٦- **قال عياض الأشعري** رَحِمَهُ اللَّهُ: شهدتُ اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة ابن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وابن حَسَنَةَ، وخالد بن الوليد، وعياض. وقال عمر رضي الله عنه: «إذا كان قِتالٌ فعليكم أبو عبيدة، قال فكتبنا إليه: إنه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه فكتب إلينا أنه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وإني أدلُّكم على مَنْ هو أعز نصرًا وأحضَر جُندًا، الله - عزَّ وجلَّ - فاستنصِرُوهُ، فإن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نُصِرَ يوم بدر في أقل من عُدَّتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تُراجِعُوني. فقاتلناهم فهزمناهم، وقتلناهم أربع فراسخ، وأصبنا أموالًا».

٧- **قال شقيق بن سلمة أبو وائل**؛ قال: خرجنا في ليلة مَخُوفَةٍ فمررنا بأجمةٍ فيها رجُلٌ نائم، وقيّد فرسه فهي ترعى عند رأسه فأيقظناه فقلنا له: تنام في مثل هذا المكان؟، قال: فرفع رأسه فقال: «إني أستحي من ذي العرش أن يعلم أني أخاف شيئًا دونه»، ثم وضع رأسه فنام.

٨- **قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله -عزَّ وجلَّ- ولكن يعودون أنفسهم بالكسب فمن قال بخلاف هذا القول فهذا قول إنسانٍ أحمق».

٩- **وقال أيضًا**: «صدق المتوكل على الله - عزَّ وجلَّ - أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحدٌ من الآدميّين يطمع أن يجيئَهُ بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقُه، وكان مُتوكّلًا».

١٠- **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «التّوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يُطيق من أذى الخلق، وظُلْمهم وعُدْوانِهِمْ».

١١- **قال ابن القيم والفيروزآبادي** - رحمهما الله تعالى -: «التّوكل نصفُ الدّين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدّين استعانَةٌ وعبادةٌ، فالتوكّل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة».



الباقة (١٠)

أقوال مأثورة عن مالك بن دينار

كان مالك بن دينار يقول: ما تنعّم المتنعمون بمثل ذكْر الله تعالى.

وقال: يا حملة القرآن! ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش، فتكون فيه الحبة، فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسُن، فيا حملة القرآن! ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة، أين أصحاب سورتين؟، ماذا عملتم فيهما؟.

وقال: يا هؤلاء! جهّالكم كثير لولا ذلك للبستُ المسوح، يا هؤلاء! لا تجعلوا بطونكم جُرُبًا للشيطان، يُوعِي فيها إبليس ما شاء.

وقال: مَنْ دخل بيتي فأخذ منه شيئًا فهو له حلال، أما أنا فلا أحتاج إلى قُفل ولا إلى مفتاح.

وكان يأخذ الحصاة من المسجد ويقول: لوددتُ أن هذه أجزأتني في الدنيا ما عشت، لا أزيد على مصّها من الطعام ولا الشراب.

وقال: لو صلح لي أن آكل الرماد لأكلته، ولو صلح لي أن أعمد إلى بوري -حصير منسوج من القصب- فأقطعه، فآتزِرُ بقطعةٍ وأرتدي بقطعة لفعلت.

وقال: لقد هممت أن آمر إذا مت أن أُغَلّ، فأدفع إلى ربي كما يُدفع الآبق إلى مولاه.

وقال: ينطلق أحدكم فيتزوج ديباجة الحرم، يعني أجمل الناس، أو ينطلق إلى جارية قد سمّنها أبوها كأنها زبدة، فيتزوجها فتأخذ بقلبه فيقول لها: أي شيءٍ تريدين؟ فتقول: خمارٌ خَزٍّ، وأي شيءٍ تريدين؟، فتقول: كذا وكذا. قال مالك: فتمرُط، والله دين ذلك القارئ، ويدع أن يتزوجها يتيمة ضعيفة فيكسوها فيؤجَر ويدَهنها فيؤجَر.

وقال: كان حبْرٌ من أحبار بني إسرائيل قال: فرأى بعض بنيه يومًا غمز النساء، فقال: مهلًا يا بني. قال: فسقط من سريره، فانقطع نخاعه، فأسقطت امرأته وقُتل بنوه في الجيش، وأوحى الله تعالى إلى نبيّهم أن أخبر فلانًا الحَبْر أني لا أُخرج من صُلبك صديقًا أبدًا ما كان غضبك لي إلا أن قلت: مهلًا يا بني! مهلًا.

وقال: ما من أعمال البر شيء إلا دونه عقبة، فإن صبر صاحبها أفضتْ به إلى روح، وإن جزع رجع.

وقال: منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره مذمّتهم. قيل: ولِمَ ذاك؟، قال: لأن حامدهم مُفرط، وذامّهم مفرط.

وقال: مثل قرّاء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخًا ونصب فيه بُرّةً فجاء عصفور فقال: ما غيَّبك في التراب؟، قال: التواضع. قال: لأي شيء انحنيت؟، قال: من طول العبادة، قال: فما هذه البُرّة المنصوبة فيك؟، قال: أعددتها للصائمين. فقال: نِعْمَ الجار أنت. فلما كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ. فقال العصفور: إن كان العبّاد يخنقون خنْقَك فلا خير في العبّاد اليوم.

وقال: مرَّ والي البصرة بمالك بن دينار يرْفُل، فصاح به مالك: أقلّ من مشيتك هذه، فهمَّ خدَمُه به. فقال: دعوه ما أراك تعرفني. فقال له مالك: ومن أعرف بك مني، أما أولك فنطفة مَذرة، وأما آخرك فجيفة قذرة، ثم أنت بين ذلك تحمل العذرة-الغائط-، فنكس الوالي رأسه ومشى.

وقال: قدمتُ من سفرٍ لي، فلما صرت بالجسر قام العَشَّار-الذي يأخذ العشر ضريبة- فقال لا يخرجن من السفينة ولا يقوم أحد من مكانه. فأخذت ثوبي فوضعته على عنقي ثم وثبت فإذا أنا على الأرض. فقال لي: ما أخرجك؟، قلت: ليس معي شيء. قال: اذهب فقلت في نفسي: هكذا أمر الآخرة.

وقال: عجبًا لمن يعلم أن الموت مصيره، والقبر مورده كيف تقرُّ بالدنيا عينه؟ وكيف يطيب فيها عيشه؟، قال: ثم يبكي مالك حتى يسقط مغشيًا.

وقال: إن لكل شيء لقاحًا، وإن الحزن لقاح العمل الصالح، إنه لا يصبر أحد على هذا الأمر إلا بحزن، فوالله ما اجتمعا في قلب عبدٍ قط: حزنٌ بالآخرة وفرحٌ بالدنيا، إن أحدهما ليطردُ صاحبه.

وقال: إذا ذُكر الصالحون فأُفٍّ لي وتُفٍّ.

وقال: كان الأبرار يتواصون بثلاث بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزّلة.

وقال: دخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أخذ بخراجٍ خرّج عليه، وقُيّد فقال: يا أبا يحيى! أما ترى ما أنا فيه من هذه القيود؟، فرفع مالك رأسه فإذا سلّة، قال: لمن هذه السّلة، قال: لي. قال:فَمُرْ بها فلتنزل. فأنزلت فوضعت بين يديه فإذا دجاج، وأخبصة فقال: هذه وضعت القيود في رجلك لا هُمْ. وقام عنه.

وقال: وكان مالك بن دينار يطوف بالبصرة في الأسواق، فينظر إلى أشياء يشتهيها، فيرجع فيقول لنفسه: أبشري فوالله! ما حرمتُك ما رأيت إلا لكرامتك عليّ.

وقال: إن البدن إذا سقم لم ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك إذا علقه حبُّ الدنيا لم ينجع فيه المواعظ، وسمعته يقول: بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج همّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة، فكذلك يخرج همّ الدنيا من قلبك.

جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال: يا أبا يحيى! إن كنت من أهل الجنة فطُوبى لك. فقال: ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخْزى.

وقال عبد العزيز بن سلمان العابد: انطلقتُ أنا وعبد الواحد بن زيد إلى مالك بن دينار، فوجدناه قد قام من مجلسه فدخل منزله وأغلق عليه باب الحجرة، فجلسنا ننتظره

ليخرج أو لنسمع له حركة فنستأذن عليه، فجعل يترنّم بشيء لم نفهمه، ثم بكى حتى جعلنا نأوى له من شدة بكائه، ثم جعل يشهق ويتنفس حتى غشى عليه.

قال: فقال لي عبد الواحد: انطلق ليس لنا مع هذا اليوم عمل، هذا رجل مشغول بنفسه.

وقال: كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ فجعل مالك ينتفض، وأهل المجلس يبكون ويصرخون، حتى انتهى إلى هذه الآية ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾. قال: فجعل مالك، والله، يبكي ويشهق حتى غُشى عليه، فحُمل بين القوم صريعًا.

وقال: بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم، فإذا رجل يُدفن، فجاء حتى وقف على القبر، فجعل ينظر إلى الرجل وهو يُدفن فجعل يقول: مالكٌ، غدًا هكذا يصير، وليس له شيء يتوسده في قبره، فلم يزل يقول: غدًا مالكٌ هكذا يصير، حتى خرَّ مغشيًا عليه في جوف القبر، فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشيًا عليه.

وقال مسمع بن عاصم: رأى إنسانًا يضحك، فقال: ما أحبّ أن قلبي فرغ لمثل هذا، وأن لي ما حوت البصرة من الأموال والعُقد-العقارات-.

وقال: حدثنا جعفر عن مالك قال: إن في بعض الكتب أن الله عزَّ وجلَّ يقول: إنَّ أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحبّ الدنيا أن أُخرج حلاوة ذكْري من قلبه.

عبد الملك بن قُريت قال: حدثني رجل صالح من أهل البصرة قال: وقع حريق في بيت مالك بن دينار، فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجها، فقيل له: يا أبا يحيى، البيت، فقال: ما فيه إلا السدانة ما أبالي أن يحترق.

وقال: وذكر عبد الله بن المبارك، قال: وقع حريق بالبصرة فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائه وقال: هَلك أصحاب الأثقال.

وقال: حدثني عمر، عن مالك بن دينار أنه كان يقول: إن الله عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ عبدًا انتقصه من دنياه، وكفَّ عنه ضيّعته، ويقول: لا تبرح من بين يدي قال: فهو متفرّغ لخدمة ربه عَزَّ وَجَلَّ، وإذا أبغض عبدًا دفع في نحره شيئًا من الدنيا ويقول: أعزُب من بين يديّ فلا أراك بين يديّ، فتراه معلّق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا.

وقال: سمعت منيعًا يقول: مرَّ تاجر بعشّار فحبسوا عليه سفينته، فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له، قال: فقام مالك فمشى إلى العشّار، فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى! ألا تبعث إلينا حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلّوا سفينة هذا الرجل، قال: قد فعلنا، قال: وكان عندهم كُوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم، فقالوا: ادْعُ الله لنا يا أبا يحيى. قال:قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم، وألفٌ يدعون عليكم؟، أترى يُستجاب لواحد ولا يُستجاب لألف؟.

وقال: سمعتُ مالكًا يقول: لو أن القوم كِلفوا الصُحَف لأقلّوا المنطق.

وقال: والله! لو وقف مالكٌ بباب المسجد وقال: يخرج شرٌّ مَنْ في المسجد، لبادرْتُكم إليه.

وقال: سمعتُ مالك بن دينار يقول: دخل عليّ جابر بن زيد وأنا أكتب فقال: يا مالك! ما لك عمل إلا هذا؟، تنقل كتاب الله عزَّ وجلَّ من ورقة إلى ورقة؟، هذا والله الكسب الحلال.

وقال: سمعتُ المغيرة بن حبيب أبا صالح -ختن مالك بن دينار- يقول: قلت لنفسي: يموت مالك بن دينار، وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله؟ قال: فصليت معه العشاء الآخر، ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون من الليل، قال: وجاء مالك فدخلَ فقرّب رغيفه فأكل ثم قام إلى الصلاة فاستفتح، ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يارب! إذا جمعت الأوّلين والآخرين فحرِّم شيبة مالك بن دينار على النار، قال: فوالله!

ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت فإذا هو قائم على تلك الحال يقدّم رجلًا ويؤخرّ رجلًا ويقول: يارب! إذا جمعت الأولين والآخرين فحرِّم شيبة مالك بن دينار على النار، فما زال كذلك حتى طلع الفجر، فقلت في نفسي: والله! لئن خرج مالك بن دينار فرآني لا تبلّني عنده بالّة أبدًا، فجئت إلى المنزل وتركته.

وقال: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخونة، وكفى بالمرء شرًا أن لا يكون صالحًا ويقع في الصالحين.

وقال: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها. قالوا: وما هو؟، قال: معرفة الله عزَّ وجلَّ.

وقال: أنبأ أبي قال: سمعتُ مالك بن دينار يقول: قولوا لمن لم يكن صادقًا لا يتعنّى.

وقال: إنَّ القلب إذا لم يكن فيه حزْن خرِبَ، كما أن البيت إذا لم يُسكَن خَرِبَ.

وقال: اتّقوا السّحارة، اتّقوا السّحارة، فإنها تسحر قلوب العلماء.

وقال: لو أعلم أن قلبي يصلح على كُناسةٍ، لذهبت حتى أجلس عليها.

وقال: وددت أنَّ الله عزَّ وجلَّ أذِنَ لي يوم القيامة إذا وقفت بين يديه أن أسجد سجدةً فأعلم أنه قد رضى عنّي، ثم يقول لي: يا مالك! كن تُرابًا.

وقال: إن العَالِمِ إذا لم يعمل بعلْمه زلّت موعظته عن القلوب كما تزل القطْرة عن الصفا.

وقال: إنك إذا طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم، وإذا طلبته لغير العمل به لم يزدك إلا فخرًا.

وقال: وكانت الغيوم تجيء وتذهب ولا تمطر، فيقول مالك: أنتم تستبطئون، وإنما أستبطئ الحجارة، إن لم تُمطر حجارة فنحن بخير.

وقال: لما وقعت الفتنة أتيتُ الحسن ثلاثة أيام أسأله: يا أبا سعيد! ما تأمرني؟ فلا يجيبني. قال: فقلت: يا أبا سعيد! أتيتك ثلاثة أيام أسألك وأنت معلمي فلا تجيبني، فوالله! لقد هممت أن آخذ الأرض بقدمي، وأشرب من أفواه الأنهار، وآكل من بَقْل التربة، حتى يحكم الله عَزَّ وَجَلَّ بين عباده. قال: فأرسل الحسن عينيه باكيًا ثم قال: يا مالك! ومَنْ يطيق ما تطيق، ولكنا والله ما نطيق هذا.

وقال: وكنت عند مالك بن دينار، فجاء هشام بن حسان، وكان يأتيه هشام بن حسان، وسعيد بن أبي عروبة وحوشب يطلبون قلوبهم، فجاء هشام فقال: أين أبو يحيى؟ قلنا: عند البقّال، قال: قوموا بنا إليه، قال: فحانت منه نظرة إلى هشام، فقال: يا هشام! إني أعطي هذا ا لبقّال كل شهر درهمًا ودانَقيْن، فآخذ منه كل شهرستين رغيفًا، كل ليلة رغيفين فإذا أصبتهما سخنًا فهو ادْمهما، يا هشام! إني قرأت في زَبور داود، إلهي رأيت هُمومي وأنت من فوق العُلى، فانظر ما همومك يا هشام.

وقال: أخذ السبع صبيًا لامرأة فتصدقت بلقمة، فألقاه، فنوديتْ: لقمة بلقمة.

وقال: إنَّ الله جعل الدنيا دار مفرّ، والآخرة دار مقرّ، فخذوا لمقرّكم من مفرّكم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، ففي الدنيا حييتم ولغيرها خُلقتم، إنما مثل الدنيا كالسم أكله مَنْ لا يعرفه، واجتنبه مَنْ عرفه، ومثل الدنيا مثل الحيّة، مسُّها لينٌ، وفي جوفها السّم القاتل يحذّرها ذوو العقول، ويهوى إليها الصبيان بأيديهم.

وقال الحارث بن نبهان: قدمتُ من مكة، فأهديت إلى مالك بن دينار ركوةً-إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء-. قال: فكانت عنده فجئتُ يومًا فجلست في مجلسه،

فلما قضاه قال لي: يا حارث! تعالَ خذ تلك الركوة، فقد شغلت عليّ قلبي، فقلت: يا أبا يحيى! إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب، فقال: يا حارث! إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي: يا مالك! إنَّ الركوة قد سُرقت، فقد شغلت عليّ قلبي.

وقال جعفر: قلنا لمالك بن دينار، ألا تدعو قارئًا؟، إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة، فقلنا له: ألا تستسقي؟، قال: أنتم تستبطئون المطر لكني أستبطئ الحجارة.

وقال: رأيت مالك بن دينار يتقنّع بعباء، أو قال: بكساء، ثم يقول: إله مالك، قد علمت ساكن الجنّة من ساكن النار، فأي الدارين دارُ مالكٍ، وأيُّ الرجلين مالك؟، ثم يبكي.

وسمعته يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها يا أيها الناس! النار النار.

وسمعته يقول: لو كان لأحد أن يتمنى لتمَنّيت أن يكون لي في الآخرة خصّ من قصب، فأروى من الماء وأنجو من النار، وسمعته يقول للمغيرة بن حبيب، وكان ختَنه، يا مغيرة! كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيرًا فانبذ عنك صحبته.

وسمعته يقول: يا إخوتاه! بحقٍّ أقول لكم: لولا البول ما خرجتُ من المسجد.

وقال: إنما العالِم الذي إذا أتيته في بيته فلم تجده قصّ عليك بيته: رأيت حصيره للصلاة، ومصحفه ومطْهرته في جانب البيت، ترى أثر الآخرة.

وسمعته يقول: إن الأبرار لتغلى قلوبهم بأعمال البرّ، وإن الفجّار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم فانظروا ما همومكم رحمكم الله.

وسمعته يقول: إن الصدّيقين إذا قُرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة.

وسمعته يقول: ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب.



وسمعته يقول: إنَّ لله تعالى عقوباتٍ فتعاهدوهن من أنفسكم في القلوب والأبدان، وضنكٍ في المعيشة، ووهنٍ في العبادة، وسخطةٍ في الرزق.

وقال: خرج سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في موكبه فمرّ ببلبل على غصن شوك يصفر ويضرب بذنبه، فقال: أتدرون ما يقول؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه يقول: قد أصبت اليوم نصف تمرةٍ على الدنيا العَفاء.

قال فضيل بن عياض: رأى مالك بن دينار رجلًا يُسيء صلاته فقال: ما أرحمني لعياله، فقيل له: يسئ هذا صلاته وترحم عياله؟، قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون.

قال الحسن بن عمرو: قال رجل لمالك بن دينار: يا مرائي! قال: متى عرفت اسمي؟، ما عرف اسمي غيرك.

وقال: دخل اللصوص إلى بيت مالك بن دينار، فلم يجدوا في البيت شيئًا، فأرادوا الخروج من داره، فقال مالك: ما عليكم لو صليتم ركعتين.

وقال: دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه وهو يكيد بنفسه، فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم! إنك تعلم أني لم أكن أحبَّ البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرْج.

وقال أبو عيسى: دخلنا على مالك بن دينار عند الموت، فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دُؤوبُ أبى يحيى.

وقال عمارة بن زاذان: أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أني أكره أن أصنع شيئًا لم يصنعه أحدٌ كان قبْلي لأوصيت أهلي إذا أنا متّ أن يقيدوني، وأن يجمعوا يدي إلى عنقي، فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أُدفن، كما يُصنع بالعبد الآبق.

وقال: غير أحمد بن محمد فإذا سألني ربي تعالى أيْ ربّ! لم أرض لك نفسي طرْفة عيني قطُّ.

أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك، وعن جماعة من كبار التابعين: كالحسن وابن سيرين والقاسم بن محمد وسالم بن عبيد الله، وتوفى قبل الطاعون بيسير، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثون ومائة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (١١)

الربيع بن خثيم

عن حماد بن أبي سليمان قال: كان عبد الله بن مسعود إذا نظر إلى الربيع بن خثيم قال: مرحبًا، قال: أبا يزيد! لو رآك رسول الله ﷺ لأحبّك، ولأوسع لك إلى جنبه. ثم يقول: «وبشْر المُخبتين».

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم الربيع بن خثيم.

وكان يقول: أما بعد: فأعدّ زادك وخُذ في جهازك، وكن وصيَّ نفسك.

وقيل له: ألا تذكر الناس؟، فقال: ما أنا عن نفسي براضٍ، فأتفرّغ من ذمّها إلى أن أذمّ الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس، وأمِنوه على ذنوبهم.

وقيل له حين أصابه الفالج: لو تداويت، فقال: لقد عرفت أن الدواء حقّ، ولكني ذكرتُ عادًا وثمود وقرونًا بين ذلك كثيرًا كانت فيهم الأوجاع، وكان لهم الأطباء، فما بقى المداوِي ولا المدَاوَى.

عن أبو حيان، عن أبيه قال: ما سمعت الربيع بن خثيم يذكر شيئًا من أمر الدنيا إلا أني سمعته يقول: كم للتيم مسجد.

عن إبراهيم التيمي قال: أخبرني مَنْ صَحِبَ الربيع بن خثيم عشرين عامًا، ما سمع منه كلمةً تُعاب.

عن بكر بن ماعز قال: ما رُئىَ الربيع متطوعًا في مسجد قومه قطّ إلا مرةً واحدة.

قال سفيان: أخبرتني سُرِّيّة الربيع بن خثيم قالت: كان عمل الربيع كلّه سرًا إن كان لَيجئُ الرجل وقد نشر المصحف فيغطّيه بثوبه.

عن منذر، عن الربيع بن خثيم قال:كلّ ما لا يُبتغى به وجه الله عزَّ وجلَّ يضمحل.

عن أبو حيان التيمي، عن أبيه، قال: ما سمعت الربيع بن خثيم يذكر شيئًا من أمر الدنيا قطّ.

عن أحمد بن عبد الله بن مسروق، عن الربيع بن خثيم: أنه سُرِقَ له فرس أُعْطِي به عشرين ألفًا، فقالوا له: ادْع الله عليه. فقال: اللهُمَّ إن كان غنيًا فاغفرْ له، وإن كان فقيْرًا فأغْنِه.

عن سعيد بن مسروق قال: أصاب الربيع بن خثيم حجرٌ في رأسه فشجّه، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم! اغفر له، فإنه لم يتعمّدني.

عن عيسى بن فروخ قال: كان الربيع بن خثيم إذا كان الليل، ووجد غفلة الناس خرج إلى المقابر فيقول: يا أهل المقابر! كنا وكنتم، فإذا أصبح فكأنه نُشر من قبر.

عن منذر الثوري قال: كان الربيع بن خثيم يقول: السرائر التي تختفي على الناس وهِيَ لله بَوادٍ، التمسوا دواءهنّ، التمسوا دواءهن؟، ثم يقول: وما دواءهن؟، دواءهن أن تتوب فلا تعود.

عن عبد الملك بن الأصبهاني، عمّن حدثه عن الربيع بن خثيم أنه قال لأصحابه: تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟، قالوا: لا. قال: الدّاء الذّنوبُ، والدواءُ الاستغفارُ، والشفاء أن تتوب فلا تعود.

عن نُسير قال: بتّ بالربيع ذات ليلة، فقام يصلي، فمر بهذه الآية ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾، فمكث ليلته حتى أصبح، ما يجوز هذه الآية إلى غيرها إلا ببكاءٍ شديد.

عن حمّاد الأصم، عمّن حدثه عن بعض أصحاب الربيع قال: ربّما علَّمْنا شعره عند المساء، وكان ذا وفْرَة ثم يصبح والعلامة كما هي، فتعلم أن الربيع لم يضَع جنبه ليلته على فراشه.

عن أبو حيان قال: حدثني أبي قال: كان ربيع بعدما سقط شقُّه، يُهادي بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله يقولون له: يا أبا يزيد! لقد رخَّص الله لك لو صليت في بيتك فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي: «حيَّ على الفلاح» فمن سمع منكم فليجبه، ولو زحفًا ولو حبوًا.

عن محمد، عن رجل من أسلم من المبكَّرين إلى المسجد، قال: كان الربيع بن خثيم إذا سجَدَ كأنه ثوب مطروح فتجيئ العصافير فتقع عليه.

عن بلال بن المنذر قال: قال رجل للربيع: قُتل ابن فاطمة فاسترجع ثم تلا هذه الآية: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾. قال: ما تقول: قال: ما أقول؟ إلى الله إيابهم وعليه حسابهم.

عن سفيان قال: بلغنا أن أم الربيع كانت تنادي تقول: يا بني يا ربيع! ألا تنام، فيقول: يا أمّاه! من جنّ عليه الليل وهو يخاف البيات حُق له أن لا ينام، قال: فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت: يا بني! لعلك قتلتَ قتيْلًا؟، فقال: نعم يا والدة، قتلت قتيلًا، فقالت: ومن هذا القتيل يا بني؟ نتحمل على أهله فيعُفوك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك، فيقول: يا والدتي، هي نفسي.

عن مالك قال: قالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبتاه! إني أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟، قال: يا بنيّة! إن أباك يخاف البيات.

عن الربيع بن منذر قال: سمعت أبي يقول: كان عند الربيع بن خثيم رهط، فجاءته ابنته فقالت: يا أبتاه! أذهبُ ألعبُ؟، فقال: اذهبي فقولي خيرًا، غير مرة، قال: فقال القوم: أصلحك الله وما عليك أن تقول لها؟، قال: وما عليّ أن لا يُكتب هذا في صحيفتي.

عن أبي حيّان، عن أم الأسود قالت: كانت ابنة الربيع بن خثيم تأتيه فتقول: يا أبتاه! ائذن لي ألْعبُ، فيقول: يا بنية قولي خيرًا، قال: فتلقنها أمها: قُولي: أتحدث، فيقول: إني لم أسمع الله رَضِيَ لأحدٍ اللعبَ.

عن سفيان، عن رجل من بني تيم الله، عن أبيه قال: جالستُ الربيع بن خثيم سنين، فما سألني عن شيء مما فيه الناس إلا أن قال لي مرة: أمَّك حية؟، كم لكم مسجد؟.

عن سعيد الحارثي قال: ضرب الربيع بن خثيم الفالج، فطال وجعه فاشتهى لحم دجاج، فكفّ نفسه أربعين يومًا، ثم قال لامرأته: اشتهيت لحم دجاج منذ أربعين يومًا فكففت نفسي رجاءَ أن تكف فأبتْ، قالت له امرأته: سبحان الله، وأيُّ شيء هذا حتى تكفُّ نفسك عنه؟، قد أحله لك، فأرسلت امرأته إلى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانَقْين، فذبحتها وشوتها واختبزت له خبزًا له أصباغ، ثم جاءت بالخوان حتى وضعته بين يديه، فلما ذهب ليأكل قام سائلٌ على الباب، فقال: تصدقوا عليّ بارك الله فيكم، فكفّ عن الأكل، وقال لامرأته: خذي هذا فَلُفِّيه وادفعيه إلى السائل، فقالت امرأته: سبحان الله، فقال: افعلي ما آمركِ، قالت: فأنا أصنع ما هو خير له وأحبّ إليه من هذا. قال: وما هو؟، قالت: نعطيه ثمن هذا وتأكل أنت شهوتك. قال: قد أحسنت ائتني بثمنه. قال: فجاءت بثمن الدجاجة والخبز والأصباغ فقال: ضعيه على هذا، وادفعيه جميعًا إلى السائل.

عن منذر أنَّ الربيع قال لأهله: اصنعوا لي خبيصًا، قال: وكان يكاد لا يشتهي عليهم شيئًا، قال: فصنعوه. قال: فأرسل إليه جار إليه مُصاب، قال: فجعل يأكل ولُعابه يسيل قال: فقال أهله: ما يدري هذا ما يأكل، فقال الربيع: لكن الله عزَّ وجلَّ يدري.

عن خوّات بن عبيد الله قال: كان السائل إذا أتى الربيع بن خثيم قال: أطعِموه مسكّرًا فإني أحب السكّر.

عن سعيد بن مسروق، عن ربيع بن خثيم: أنه كان يلبس قميصًا سُنْبُلانيًا، أراه ثمن ثلاثة دراهم أو أربعة دراهم، قال: فإذا مدّ كُمَّه يبلغ ظُفره، وإذا أرسله بلغ ساعده، وإذا رأى بياض القميص قال: أيْ عُبيد تواضع لربك، ثم يقول: أي لحمِيَهْ، وأيْ دَمْيَهْ، كيف تصنعان إذا سُيرت الجبال، ودُكّت الأرض دكًا، وجاء ربك والملكُ صفًا صفًا؟.

عن حسين، يعني ابن صالح، قال: قيل للربيع بن خثيم: لو جالستَنا. فقال: لو فارق قلبي ذِكْرُ الموت ساعة فسَدَ عليَّ.

عن بشر بن الحارث قال:قال الربيع بن خثيم: أنا بعصافير المسجد آنَسُ مِنِّي بأهلِي.

عن منذر قال: كان الربيع يكنس الحشّ بنفسه، فقيل له: إنك تُكفَى هذا، فقال: إني أحب أن آخذ نصيبي من المهنة.

عن أبي وائل قال: خرجنا مع عبد الله بن مسعود، ومعنا الربيع بن خثيم، فمررنا على حدّاد، فقام عبد الله ينظر حديدةً في النار، فنظر الربيع إليها فتمايل ليسقط، فمضى عبد الله حتى أتينا على أتُون على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾. فصعق الربيع فاحتملناه فجئنا به إلى أهله، قال: ثم رابطه عبد الله إلى الظهر فلم يُفق، ثم رابطه إلى العصر فلم يُفق، ثم رابطه إلى المغرب فلم يُفق، فرجع عبد الله إلى أهله.

عن الأعمش قال: مرّ الربيع بن خثيم في الحدّادين، فنظر إلى كِيرٍ فصعق، قال الأعمش: فمررت بالحدّادين لأتشبّه به فلم يكن عندي خيْر.

عن أبي يعلى قال: كان الربيع إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا يزيد؟، قال: أصبحنا ضُعفاء مُذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا.

عن حفص بن عمر قال: كان الربيع بن خثيم لا يُعطي السائل أقل من رغيف، ويقول: إني لأستحي أن يُرى في ميزاني أقلُّ من رغيف.

عن سلام بن أبي مطيع قال: كان الربيع بن خثيم إذا أصبح قال: مرحبًا بملائكة الله، اكتبوا، بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

عن صالح بن موسى، عن أبيه قال: قال الربيع بن خثيم لرجل لا تلفظ إلا بخير، فإن العبد مسئول عن لفظِه، يُحصى ذلك عليه كلُّه ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

عن الفضيل بن عياض قال: كان الربيع بن خثيم يقول في دعائه: أشكو إليك حاجةً لا يحسَنُ بثها إلا إليك.

عن أبي سليمان قال: بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره، إذ جاءه حجر فصكّ وجهه، فقال: لقد وُعِظت يا ربيع، فقام ودخل الدار، وأغلق الباب، وما رُئى في ذلك المجلس حتى مات.

عن حفص بن عمر قال: قال الربيع بن خثيم: إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكّرت فاذكر اطلاعه، فإنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

عن نُسيرُ بن ذُعلوق، عن الربيع بن خثيم: أنه كان يبكي حتى تُبلَّ لحيتُهُ من دموعه، ثم يقول: أدركنا أقوامًا كنا في جُنوبهم لُصوصًا.

أسند الربيع بن خثيم عن ابن مسعود وغيره، وتُوفى بالكوفة في ولاية عبيد الله بن زياد عليها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (١٢)

أيوب السختياني

عن حماد بن زيد قال: قال أيوب: إنَّ قومًا يريدون أن يرتفعوا، فيأبى الله إلا أن يضعهم، وآخرين يريدون أن يتواضعوا، ويأبى الله إلا أن يرفعهم.

قال: وكان النُّسّاك يومئذٍ يشمّرون ثيابهم، وكان أيوب لا يفعل.

عن حماد بن زيد قال: كنت أمشي مع أيوب فيأخذ في طُرقٍ، إني لأعجب له كيف يهتدي لها، فرارًا من الناس أن يُقال: هذا أيوب.

عن ميمون الغزال قال: كنا عند الحسن، فجاء أيوب فسلَّم عليه، فلما مضى، وكان حيث لا يسمع، قال: أنا الحسن: هذا سيد الفتيان.

وفي رواية أخرى: قال الحسن: أيوب سيد شباب أهل البصرة.

عن حجاج قال: سمعتُ شعبة يقول: ربما ذهبت مع أيوب في الحاجة أمشي معه فلا يدعني، فيخرج ههنا وههنا لكي لا يُفطن له.

وقال شعبة: قال أيوب: ذُكِرت وما أُحب أن أُذكر.

عن الحميدي قال: لقي سفيان بن عُيينة ستة وثمانين من التابعين، وكان يقول: ما رأيت مثل أيوب.

عن سلام بن أبي مطيع قال: كان أيوب يقوم الليل يُخفي، ذلك فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته كأنه إنما قام تلك الساعة.

عن وهيب بن خالد قال: قال أيوب السختياني: إذا ذُكِرَ الصالحون كنت منهم بمعزلٍ.

عن بشر بن منصور قال: كنا عند أيوب فلغطْنَا وتكلّمنا، فقال لنا أيوب: كُفُّوا، لو أردت أن أخبركم بكل شيء تكلمتُ به اليوم لفعلت.

عن معمر قال: كان في قميص أيوب بعض التذييل فقيل له، فقال: الشهرة اليوم في التشمير.

عن صالح بن أبي الأخضر قال: قلت لأيوب: أوصني، قال: أَقِلَّ الكلام.

عن عبد الله بن بشر قال: إن الرجل ربما جلس إلى أيوب السختياني، فيكون لما يرى منه أشدّ اتّباعًا منه ولو سمع حديثه.

عن حماد بن زيد قال: لو رأيتم أيوب ثم استسقاكم شربة من ماء على النسك لما سقيتموه، له شعر وافر، وشارب وافر، وقميص جيّد هرويّ يشم الأرض، وقلنسوة جيدة، وطيلسان جيّد ورداء عَدني.

عن حماد بن زيد قال: سمعت أيوب يقول: إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون.

عن عبيد الله بن شميط قال: سمعت أيوب السختياني يقول: لا يَنْبُل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفّة عما في أيدي الناس، والتجاوز عمَّا يكون منهم.

عن المبارك بن إسماعيل قال: آذى رجل أيوب السختياني وأصحابه أذىً شديدًا، فلما تفرقوا قال أيوب: إني لأرحمه، أنَّا نفارقه وخُلُقُه معه.

عن حماد قال: رأيت أيوب لا ينصرف عن سوقه إلا معه شيء يحمله لعياله، حتى رأيت قارورة الدّهن بيده يحملها، فقلت له في ذلك فقال: إني سمعت الحسن يقول: إنَّ المؤمن أخذ عن الله عزَّ وجلَّ أدبًا حسنًا، فإذا أوسَع عليه أوسَع، وإذا أمسَكَ عليه أمسَكَ.

عن حماد بن زيد قال: ما رأيت رجلًا قطّ أشد تبسمًا في وجوه الرجال من أيوب.

عن إسحاق بن محمد قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه.

عن هشام بن حسان قال: حجّ أيوب السختياني أربعين حجة.

عن عبد الواحد بن زيد قال: كنت مع أيوب على (حِراء) فعطشت عطشًا شديدًا حتى رأى ذلك في وجهي، فقال: ما الذي أرى بك؟، قلت: العطش، قد خفت على نفسي، قال: تسْتُرُ عليّ؟، قلت: نعم. فاستحلفني، فحلفت له أن لا أخبر عنه ما دام حيًّا، قال: فغمز برجله على حِراء فنبع الماء، فشربت حتى رويت وحملت معي من الماء، قال: فما حدثّت به أحدًا حتى مات.

عن أبي بكر بن المفضّل قال: سمعت أيوب يقول: والله ما صدق عبد إلا سرّه أن لا يشعر بمكانه.

عن سلام بن أبي مطيع قال: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب: ألا أكلمك بكلمة؟، قال: لا. ولا نصف كلمة.

عن هشام بن حسان، عن أيوب السختياني قال: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا زاد من الله عزَّ وجلَّ بُعدًا.

عن محمد بن عمر الباهلي قال: سمعت ابن عُيينة يقول: قال أيوب: إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السُّنَّة فكأنما يسقط عضو من أعضائي.

عن حماد بن زيد قال: كان أيوب ربما حُدِّث بالحديث فيرقّ فيلتفت فيتمخط ويقول: ما أشد الزكام.

عن الحسن بن عمرو قال: سمعتُ بشر بن الحارث يقول: دخل بديل على أيوب السختياني، أظنه قال: يعوده، وقد مدّ على فراشه سَبَنِيّة حمراء يدفع بها الرثاء، فقال له بديل: ما هذا؟، فقال أيوب: هذا خير من هذا الصوف الذي عليك.

عن يحيى العبدي قال: سمعتُ حماد بن زيد يقول: كان أيوب يطلب العلم حتى مات.

أسند أيوب عن أنس بن مالك، وعمرو بن سلمة الجرمي، وروى عن أبي عثمان النهدي، وأبي رجاء العطاري، وأبي العالية، والحسن وابن سيرين، وأبي قلابة، وتُوفي في الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة.

عن حنبل قال: سمعتُ سليمان بن حرب يقول: مات أيوب وهو ابن ثلاث وستين.



الباقة (١٣)

حُسن المعاملة

١ - قيل لعبد الرحمن بن عوف: ما سببُ يَسَارِكَ؟، قال: «ثلاثٌ: ما رَددتُ ربْحًا قط، ولا طُلِبَ منِّي حيوان فأخرتُ بيعه،و لا بعتُ نسيئةً». ويُقال: إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عُقُلها، باع كل عقال بدرهم، فربح فيها ألفًا، وربح من نفقته عليها ليومه ألفًا.

٢ - **عن عبد الله بن الزبير** رضي الله عنهما قال: «لما وقف الزُّبير يوم الجمل دعاني، فقمتُ إلى جنبه، فقال: يا بني! لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني أراني إلا سأُقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همّي لدَيْني، أفترَى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا؟، فقال: يا بُني! بعْ مالنا، فاقضِ ديْني، وأوصى بالثُلث، وثُلُثه لبنيه- يعني بني عبد المطلب بن الزُّبير، يقولُ: ثُلثُ الثُلث- فإن فَضَلَ من مالِنا فَضْلٌ بعد قضاء الدين فثُلثه لولدك. قال هشامٌ: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزُّبير - خُبيبٌ وعبّادٌ - وله يومئذ تسعةُ بنين وتسع بناتٍ. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بُني! إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه مولاىَ، قال: فوالله! ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبتِ! من موْلاك؟، قال: الله. قال: فوالله ما وقعتُ في كُرْبةٍ من ديْنِه إلا قُلْتُ: يا مَوْلى الزُّبَيْر! اقْضِ عنْهُ دَيْنَهُ، فيقضيه.

فقُتِلَ الزُّبَيْر رضي الله عنه ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضِينَ منها الغابة، وإحدى عشرة دارًا بالمدينة، ودارين بالبصرة، ودارًا بالكوفَة، ودارًا بمصر، قال: وإنما كان دينه الذي عليه أن الرجُل كان يأتيه بالمال فيستودِعُهُ إيّاهُ، فيقولُ الزُّبير: لا، ولكنه سَلَفٌ، فإني أخشى عليه الضيعة، وما ولِيَ إمارة قط ولا جباية خراجٍ ولا شيئًا إلا أن يكون في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم أو مع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

قال عبد الله بن الزُبير: فحسبت ما عليه من الدين، فوجدتُهُ ألفيْ ألفٍ ومائتي ألفٍ. قال: فلقِيَ حكيم ابن حزام عبد الله بن الزُّبير فقال: يا ابن أخي! كم على أخي من الدَّيْن؟، فكتمهُ فقال: مائةُ ألف، فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تسعُ لهذه.. فقال له عبد الله: أرأيتك إن كانت ألفيْ ألفٍ ومائتيْ ألف؟، قال: ما أراكم تُطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي، قال: وكان الزُّبير اشترى الغابة بسبعين ألفٍ، فباعها عبد الله بألف ألفٍ وستمائةِ ألفٍ. ثم قام فقال: مَنْ كان له على الزُّبير حقٌّ فليُوافنا بالغابَةِ، فأتاه عبد الله بن جعفر - وكان له على الزبير أربعمائة ألفٍ - فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم، قال عبد الله: لا. قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم.. فقال عبد الله: لا. قال: قال: فاقطعوا لي قطعةً. قال عبد الله: لك ها هُنا إلى هَا هُنا. قال: فباع منها فقضى دينه فأوفاهُ، وبقى منها أربعة أسهم ونصف، فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزُّبير، وابن زمعةَ - فقال له معاوية: كم قُوّمت الغابةُ؟، قال: كُل سهمٍ مائة ألف. قال: كم بقي؟، قال: أربعة أسهم ونصف. فقال المنذر بن الزُّبير: قد أخذتُ سهمًا بمائة ألفٍ. وقال عمرو بن عثمان: قد أخذت سهمًا بمائة ألف.

وقال ابن زمعة: قد أخذت سهمًا بمائة ألف.

فقال معاوية: كم بقي؟، فقال سهم ونصف. قال: أخذتُهُ بخمسين ومائةِ ألفٍ. قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألفٍ. فلما فرغ ابن الزُّبير من قضاء دينه قال بنو الزُّبير: اقسم بيننا ميراثنا. قال: لا والله! لا أقسم بينكم حتى أُنادي بالموسم أربع سنين: ألا مَنْ كان له على الزُّبير دَيْنٌ فليأتنا فلنقْضِهِ.

قال: فجعل كل سنةٍ ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، قال: وكان للزبير أربع نسوة، ورفع الثُلث فأصاب كل امرأة ألف ألفٍ ومائتا ألف».

٣- قال رجل لعمر بن عبد العزيز: «اجعل كبير المسلمين عندك أبًا، وصغيرهم ابنًا وأوسطهم أخًا، فأي أولئك تُحب أن تُسيء إليه؟».

٤- عن زياد بن الربيع اليُحمدي عن أبيه قال: «رأيتُ محمد بن واسع يبيع حمارًا بسوق(بَلْخَ) فقال له رجل: أترضاهُ لي؟، قال: لو رضيتُهُ لم أبِعْهُ».

٥ - رُوى أن الحسن البصري باع بغلة له بأربعمائة درهم، فلما استوجب المال قال له المشتري: اسمع يا أبا سعيد، قال: «قد أسقطتُ عنك مِائَةً». قال له: «فأحسن يا أبا سعيد»، فقال: «قد وهبتُ لك مَائِةً أخرى»، فقبض من حقه مائتي درهم، فقيل له: «يا أبا سعيد، هذا نصفُ الثمن»، فقال: «هكذا يكون الإحسان وإلا فلا».

٦ - يُروى عن أحدهم: أنه بعث بطعام إلى البصرة مع رجل، وأمره أن يبعهُ يوم يدخل بسعر يومِهِ، فأتاه كِتَابَهُ: إني قدمت البصرة فوجدتُ الطعام مُتضعًا فحبستُهُ، فزاد الطعام فأردْتُ فيه كذا وكذا، فكتب إليه صاحِبُهُ: إنك قد خُنتنا وعملت خلاف ما أمرناك بِهِ، فإذا أتاك كتابي فتصدّق بجميع ثمن ذلك الطّعام على فُقراء البصرة، فليتني أسْلَمُ إذا فعلتُ ذلك».



الباقة (١٤)

حسن السمت

١- **قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : «مَنْ سرّه أن ينظر إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود».

٢- **قال حُذيفة بن اليمان** رضي الله عنهما : «إن أشبه الناس دلًّا وسمْتًا، وهَدْيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم لابن أُمِّ عبد (ابن مسعود) من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه، لا ندري ما يصنع في أهله إذا خلا».

٣- **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه يوصي الرجال والنساء:«مَنْ أدرك فيكم من امرأةٍ أو رجلٍ فالسمت الأول، السمت الأول، فإنا على الفِطرة». قال عبد الله: السمتُ: الطريق».

٤- **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه : «إنكم في زمان كثيرٌ فقهاؤه، قليل خُطباؤه، قليل سُؤّالُه، كثيرٌ مُعْطُوه، العمل فيه قائدٌ للهوى. وسيأتي من بعدكم زمانٌ قليلٌ فقهاؤه، كثيرٌ خطباؤه، كثيرٌ سُؤّالُه، قليل عطاؤه، الهوى فيه قائدٌ للعمل، اعْلموا أن حُسن الهدي في آخر الزمان خيرٌ من بعض العمل».

٥- **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه : «ينغبي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يُفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشُوعِهِ إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا، حكيمًا حليمًا، عليمًا سِكّيتًا، وينبغي لحامل القرآن ألا يكون جافيًا، ولا غافِلًا، ولا صخّابًا، ولا صيّاحًا، ولا حَدِيدًا».

٦- **قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما : «القصد والتؤدة، وحُسنُ السَّمت جُزء من خمسةٍ وعشْرينَ جُزْءًا من النُّبوة».

٧- **قالت عائشة** رضي الله عنها : «ما رأيتُ أحدًا كان أشبه سمتًا، ودَلًّا وهَدْيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقُعودها من فاطمة رضي الله عنها ».

٨- **قال إبراهيم النخعي** رحمه الله: «كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه، نظروا إلى صلاتِه وإلى سمْتِه وإلى هيبتِهِ ثم يأخذون عنه».

٩- **قال الأعمش** رحمه الله: «كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء حتى لباسه ونعْليه».

١٠- **قال الأوزاعي** رحمه الله: «كنا نمزح ونضحك، فلما صرْنا يُقتدي بنا خشيت أن لا يسعُنا التبسم».

١١- **قال الحسن البصري** رحمه الله: «كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه ولسانه وبصره ويده».

١٢- **قال أبو العالية** رحمه الله: «أرحل إلى الرجل مسيرة أيام، فأوَّل ما أتفقده من أمره صلاته، فإنْ وجدته يقيمها ويتمُّها أقمت وسمعت منه، وإنْ وجدته يُضيعها رجعت ولم أسمع منه، وقلتُ هو لغير الصلاة أضيع».

١٣- **قال مالك** رحمه الله: «إنَّ حقًا على من طلب العلم أن يكون له وقارٌ وسكينةٌ وخشيةٌ، وأن يكون مُتَّبِعًا لأثر من مضى قبله».

١٤- قال أيضًا رحمه الله: «كان عمر أشبه الناس بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشبه الناس بعمر ابنه عبد الله، وبعبد الله ابنه سالم».

١٥- **قال أبو عبيد** رحمه الله: «كان أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرحلون إلى عمر رضي الله عنه فينظرون إلى سمته وهديه ودَلّه فيتشبهون به».

١٦- قال ابن المُبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجل سأله أين تريد؟، قال: إلى البصرة، فقيل له: من بقيَ؟، قال: «ابن عون آخذ من أخلاقِهِ، آخذ من آدابِهِ».

١٧- قال الوليد بن يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما رأيت الأوزاعي ضاحكًا حتى يُقهقه قط، ولا مُتلفتًا إلى شيء، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد وما أشبهه أقول في نفسي لا يُرى أحدٌ في المجلس لم يبْكِ قبله».

١٨- قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ «لم يكن بالمدينة أحد أشبه بأهل العلم من ابن عجلان، كنت أشبهه بالياقوتة بين العلماء».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مَنْ كانَ مُلتمسًا جَليسًا صَالحًا فليأتِ حلقةَ مِسعرِ بن كِدَامِ

فِيها السَّكينةُ والوقارُ وَأهلُها أهلُ العَفافِ وعِليَةُ الأقوامِ

١٩- كتب عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصيته التي أوصى بها أهله وولده: «انظروا ما كان عليه أيوب ويُونس وابن عون، واسألوا عن هدي ابن عون فإنكم ستجدون من يحدثكم عنه».

٢٠- قال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا نأتي الرجل ما نريد علمه ليس إلا أن نتعلم من هديه وسمته ودلِّهِ».

٢١- وقال أيضًا: «كان عليّ ابن المدينيّ وغير واحد يحضرون عند يحيى بن سعيد القطان ما يريدون أن يسمعُوا شيئًا إلا أن ينظروا إلى هديه وسمتِهِ».

٢٢- قال أبو عاصم النبيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مات حماد بن زيد يوم مات، ولا أعلم له في الإسلام نظيرًا في هيبته ودلِّهِ وسمتِهِ».

٢٣- قال عبيدة بن عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ نظر إلى الأوزاعي اكتفى به مما يرى عليه من أثر العبادة، كنت إذا رأيته قائمًا يُصلي كأنما تنظر إلى جسد ليس فيه روح».

٢٤- **قال الحسن بن الربيع** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما شبهت أحمد بن حنبل إلا بابن المبارك في سمته وهديه».

٢٥- قال ابن عليّ ابن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ: «رأيتُ في كتب أبي ستة أجزاء: مذهب أبي عبد الله وأخلاقه، ورأيتُ أحمد يفعل كذا ويفعل كذا، وبلغني عنه كذا وكذا».

٢٦- قال الميموني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيت أحد أنظف ثوبًا، ولا أشد تعاهدًا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنِهِ، ولا أنقى ثوبًا، وأشد بيانًا من أحمد بن حنبل».

٢٧- **قال محمد بن مسلم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنا نُهاب أن نُراد على أحمد بن حنبل في الشيء أو نحاجَّهُ في شيء من الأشياء، يعني لجلالتِهِ ولهيبة الإسلام الذي رُزِقَهُ».

٢٨- **قال المرُّوذي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم أرَ الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله، كان مائلًا إليهم مُقصرًا عن أهل الدُّنيا، وكان فيه حلمٌ، ولم يكن بالعَجُول، وكان كثير التواضع تعلوهُ السكينة والوقار، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفُتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر، يقعد حتى انتهى به المجلس».

٢٩- **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقيتُ عبد الوهاب الأنماطي، فكان على قانون السّلف لم يُسمع في مجلسه غيبةٌ ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث، وكنت إذا قرأتُ عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه، فكان وأنا صغير السن حينئذٍ يعمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد الأدب في نفسي، وكان على سمْت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النَّقْلِ».

٣٠- وقال:« قد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر فى سمْتِه وهديه، لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرةعلمه هديه وسمْتُهُ».

٣١- وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكمال عزيزٌ، والكامل قليل الوجود، أول أسباب الكمال تُناسب أعضاء البدن، وحُسن صورة الباطن، وصُورة البدن تُسمى خلقًا، وصورة

الباطن تُسمَّى خُلقًا، ودليل كمال صورة البدن حُسن السمت، واستعمال الأدب، ودليل صورة الباطن حُسن الطبائع والأخلاق، فالطبائع: العِفَّة والنزاهةُ والأَنَفةُ من الجهل، ومُباعدة الشَّرَهِ، والأخلاقُ: الكرمُ والإيثار وستر العُيوب، وابتداءُ المعروف والحلم عن الجاهل».

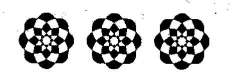
٣٢- قال ابن مُفلح رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان يحضر مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبُون، والباقي يتعلمون منه حُسن الأدب وحُسن السمْتِ».

٣٣- قال الحافظ في «الفتح»: «خرج أبو عُبيد في غريب الحديث: أن أصحاب ابن مسعود كانوا ينظرون إلى سمته وهديه ودلِّه فيتشبهون بِهِ».

٣٤- قال البدر العيني صاحب «عمدة القارئ على صحيح البخاري» رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للناس الاقتداء بأهل الفضل والصلاح في جميع أحوالهم، في هيئتهم وتواضعهم للخلق ورحمتهم وإنصافهم من أنفسهم، وفي مأكلهم ومشربهم واقتصادهم في أمورهم تبركًا بذلك».

٣٥- قال الشاعر:

انطقْ مُصيبًا لا تكنْ هذرًا ... عَيابةً نَاطقًا بالفحش والرِّيبِ
وكُنْ رزينًا طويلَ الصمتِ ذَا فكر ... فإنْ نطقتَ فَلا تُكثرْ مِن الخُطَبِ
ولا تُجبْ سَائلًا مِن غيرِ ترويةٍ ... وبالذَّي عنهُ لَمْ تُسأَل فلا تُجبِ



الباقة (١٥)

حُسن الظن

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «والذي لا إله غيره! ما أُعطي عبدٌ مؤمن شيئًا خيرًا من حُسْن الظن بالله عزَّ وجلَّ، والذي لا إله غيره! لا يُحسن عبدٌ بالله عزَّ وجلَّ الظنَّ إلا أعطاه الله عزَّ وجلَّ ظنَّه، ذلك بأن الخير في يده».

٢- عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «لما وقف الزُّبير يوم الجمل دعاني فقمتُ إلى جنبه فقال: يا بني! لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني أراني إلا سأُقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همّي لدَيْني، أفتَرَى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا؟، فقال: يا بُني، بعْ مالنا، فاقضِ ديْني. وأوصى بالثُلث، وثُلُثه لبنيه-يعني بني عبد المطلب بن الزُّبير، يقولُ: ثُلثُ الثُلث- فإن فَضَلَ من مالِنا فَضْلٌ بعد قضاء الدين فثُلثه لولدك. قال هشامٌ: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزُّبير-خُبيبٌ وعبّادٌ-وله يومئذٍ تسعةُ بنين وتسع بناتٍ.

قال عبد الله: فجعل يُوصيني بدينه ويقول: يا بُني! إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه مولاىَ. قال: فوالله! ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبتِ من موْلاك؟، قال: الله. قال: فوالله! ما وقعتُ في كُرْبةٍ من دينِه إلا قُلْتُ: يا مَوْلى الزُّبَيْر! اقْضِ عنْهُ دَيْنَهُ، فيقضيه». الحديث.

٣- عن سهيل القطعي قال: «رأيت مالك بن دينارٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منامي، فقلتُ: يا أبا يحيى! ليت شِعرِي، ماذا قدمت به على الله عزَّ وجلَّ؟، قال: قدمتُ بذنوب كثيرة فمحاها عنّي حُسن الظنّ بالله».

٤- عن خلف بن تميم، قال: قُلت لعليّ بن بكّار: ما حُسن الظَّنّ بالله؟، قال: «ألا يجمعكَ والفُجار في دار واحدة».

٥- **عن سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قال: «أحسنو الظن بالله».

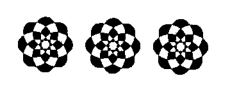
٦- قال أحمد بن العباس النّمري:

وَإنِّــي لأرجُــو الله حَـتَـى كَأنني　　　أَرى بجميلِ الظَّنِّ مَا اللهُ صانعُ

٧- أنشد أبو عمران السُّلمِي:

وَإنِّــي لآتِـي الـذَّنـبَ أعـرفُ قـدْرَهُ　　　وأعـلـمُ أنَّ اللهَ يَعفُــو وَيَغفُـر

لَـئن عَظَّمَ النَّـاسُ الذُّنوبَ فإنَّها　　　وَإنْ عظُمتْ فِي رحمـةِ اللهِ تَصْغُرُ



الباقة (١٦)

نساء وأولاد الرسول ﷺ

الزوجة الأولى: *السيدة خديجة الكبرى بنت خويلد بن أسد:*

السيدة الجليلة القرشية الطاهرة، أم القاسم، وأم المؤمنين، وأكمل نساء العالمين، وأول مَنْ آمن بالنبي ﷺ، فآزرته ونصرته، وضحتْ معه بكل ما تملك، ولم يتزوجْ ﷺ في حياتها غيرها، رغم أنها تكبره بخمس عشرة سنة، وهي أم أولاده إلا إبراهيم، بشرها رسول الله ﷺ ببيتٍ في الجنة من قصبٍ، لا صخبَ فيه ولا نصبَ، سمى رسول الله ﷺ عام وفاتها عام الحزن، وكان قبل الهجرة بثلاثة أعوام، تُوفيت عن ٦٥ عامًا رضي الله عنها وأرضاها.

الزوجة الثانية: *السيدة سودة بنت زمعة القرشية:*

الصابرة المحتسبة المهاجرة إلى الحبشة، وبعد عودتها تُوفي زوجها السكران بن عمرو في مكة، فعاشتْ دون عائل، فتزوجها رسول الله ﷺ في الشهر الذي توفيت فيه السيدة خديجة، فكانت أمًا للمؤمنين، انفردت برسول الله ثلاث سنوات، وبعد أن كبرت وهبت ليلتها للسيدة عائشة، روت عن رسول الله خمسة أحاديث، تُوفيت آخر خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنها وأرضاها -.

الزوجة الثالثة: *السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق:*

السيدة الجليلة، الصديقة بنت الصديق، وأحب الناس إلى رسول الله ﷺ، تزوجها قبل الهجرة، وبنى بها بعد غزوة بدر بوحي من الله تعالى، المبرأة من فوق سبع سموات، أعلم نساء العالمين وأفقههن، ظلتْ تعلِّم الناس بعد رسول الله سنته وسيرته في بيته قرابة نصف قرن، وهي أكثر أمهات المؤمنين روايةً، بل من أكثر الصحابة، حيث

لم يرو أكثر منها إلا أبو هريرة وابن عمر، روت ٢٢١٠ أحاديث، قال عنها رسول الله ﷺ: «فَضلُ عَائشةٍ عَلى النِّسَاءِ كَفضلِ الثَّريدِ عَلى سَائرِ الطَّعامِ» وقال لها أيضًا: «أَنتِ زَوجتِي فِي الدُّنيا وَالآخرةِ» ولم يتزوج بكرًا غيرها، تُوفي رسول الله في حجرها، وفي ليلتها، ودُفِنَ في بيتها، تُوفيت في ١٧ رمضان عام ٥٨ هـ، رضي الله عنها وأرضاها.

الزوجة الرابعة: *السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب:*

أم المؤمنين، بنت أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنهما الصوامة القوامة العابدة، أرملة شهيد بدر خنيس بن حذافة، تزوجها ﷺ في عام ٣ هـ إكرامًا لأبيها، روت عن رسول الله ﷺ ٦٠ حديثًا، تُوفيت عام ٤١ هـ، رضي الله عنها وأرضاها.

الزوجة الخامسة: *السيدة زينب بنت خزيمة الهلالية:*

أم المؤمنين وأم المساكين لبرها بهم، وإحسانها إليهم، أرملة شهيد أُحُد عبد الله بن جحش، توفيت بعد زواجها من رسول الله ﷺ بشهرين أو ثلاثة في السنة الثالثة للهجرة، وهي أخت أم المؤمنين ميمونة لأمها، رضي الله عنها وأرضاها.

الزوجة السادسة: *السيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية:*

أم المؤمنين، السيدة الجليلة صاحبة الرأي والمشورة، أرملة شهيد أحد «أخو رسول الله ﷺ بالرضاع» أبو سلمة، الذي لم تكن ترى له مثيلًا، فأخلفها الله خيرًا منه، رسول الله ﷺ فتزوجها في سنة ٤ هـ، فعاشتْ مع أيتامها في كنف رسول الله ﷺ، وروت عنه ٣٧٨ حديثًا، تُوفيت عام ٦١ هـ، وهي آخر أمهات المؤمنين وفاة، رضي الله عنها وأرضاها.

الزوجة السابعة: *السيدة زينب بنت جحش:*

ابنة عمة رسول الله ﷺ كانت عند زيد بن حارثة الذي تبناه الرسول ﷺ قبل الإسلام، ثم شاء الله أن يطلقها زيد، فزوجها الله لنبيه سنة ٥ هـ

ليبطل عادة التبني عند العرب، وكانت تفخر على نساء النبي؛ لأن الله تعالى زوجها من نبيه، أما بقية زوجاته فزوجهن منه ﷺ أهلوهن، روت عن رسول الله أحد عشر حديثًا، تُوفيت سنة ٢٠ هـ، رضي الله عنها وأرضاها.

الزوجة الثامنة: *السيدة المباركة جويرية بنت الحارث الخزاعية:*

بنت زعيم بني المصطلق، وقعت في الأسر مع قومها، فأعتقها رسول الله وتزوجها، فأعتق الصحابة من بأيديهم من قومها إكرامًا لرسول الله، فكانت أعظم امرأة بركة على قومها، روت سبعة أحاديث، تُوفيت سنة ٥٠ هـ، رضي الله عنها وأرضاها.

الزوجة التاسعة: *السيدة صفية بنت حيي زعيم بني النضير:*

ومن نسل نبي الله هارون عليه السلام العاقلة الدينة، قتل أبوها وأخوها وزوجها، وأسرت، فأعتقها رسول الله ﷺ، وتزوجها سنة ٧ هـ، روت عنه ﷺ عشرة أحاديث، تُوفيت سنة ٥٠ هـ، رضي الله عنها وأرضاها.

الزوجة العاشرة: *السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان:*

المهاجرة إلى الحبشة، حيث ارتد زوجها عبيد الله بن جحش هناك، فتبرأت منه، وعاشت، غربتين معه حتى مات، فتزوجها النبي ﷺ سنة ٦ هـ، فجهزها له النجاشي، روت عنه ٦٥ حديثًا، تُوفيت عام ٤٤ هـ، رضي الله عنها وأرضاها.

الزوجة الحادي عشرة: *السيدة ميمونة بنت الحارث:*

الزاهدة العابدة التقية، خالة عبدالله بن عباس، وخالد بن الوليد، تزوجها رسول الله في عمرة القضاء عام ٧ هـ، روت عنه ١٣ حديثًا.

تُوفيت عام ٥١ هـ، ودفنت في المكان الذي بنى بها رسول الله ﷺ في سرف.

مارية القبطية:

كانت مهداة من المقوقس صاحب الإسكندرية «عظيم مصر» إلى رسول الله، فنكحها الرسول بملك اليمين، فولدت له إبراهيم، فأصبحت أم ولد، وكانت قد أسلمت، رضي الله عنها تُوفيت ١٦ هـ.

ريحانة بنت شمعون:

من بني قريظة، وقعت في السبي فأسلمت، وكانت من سراري النبي ﷺ .

أولاد الرسول ﷺ :

المولود الأول: القاسم، تُوفي بمكة قبل البعثة.

المولود الثاني: عبد الله ويسمى «الطيب» ولد قبيل البعثة، وتُوفي أيضًا بمكة بعد عامين.

المولود الثالث: زينب رضي الله عنها وكانت زوجًا لأبي العاص ابن الربيع، كبرى بنات النبي، فرق الإسلام بينها وبين زوجها، ثم أسلم وعادت له، توفيت سنة ٨ هـ.

المولود الرابع: رقية رضي الله عنها وكانت زوجًا لعثمان بن عفان، هاجرت معه إلى الحبشة وماتت في ليالي غزوة بدر سنة ٢ للهجرة وكان يمرضها زوجها عثمان، ولذلك لم يشهد بدرًا.

المولود الخامس: أم كلثوم وكانت زوجًا لعثمان بعد وفاة أختها رقية، تُوفيت في السنة التاسعة للهجرة.

المولود السادس: فاطمة الزهراء ريحانة رسول الله، وكانتْ زوجًا للخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أم الحسن والحسين، تُوفيت بعد وفاة أبيها بستة أشهر.

المولود السابع: إبراهيم وقد مات صغيرًا وأمه مارية القبطية.

الباقة (١٧)

آهٍ من نفس ما يقر قرارها

آه من نفسٍ ما يقر قرارها، طلعت شمس الشيب وما خبت نارها، ما لاحت لها شهوة إلا قلَّ اصطبارها، ما بانتْ لها موعظة فبان اعتبارها، كم وعظها ليلها ونهارها...

نهارها الذنب لباسها والجهل شعارها، كم نكثر النصائح وما تقل أوزارها، كم تقوم وما يصلح أزورارها، كم تلاءم لطفًا وما يرعوى نفارها، كلما جذبها أملها زاد اغترارها، إلى كم مع المعاصي أما يلزمها عارها، أساء تدبيرها أم قبح اختيارها، من يأخذ بيدها إذا طال عثارها، إن النفس إذا أطمعت طمعت، وإذا أقنعت باليسير قنعت، فإذا أردت صلاح مرضها فبترك غرضها، احبس لسانها عن فضول كلماتها، وغض طرفها عن محرم نظراتها، وكف كفها عن مؤذي شهواتها إن شئت أن تسعى لها في نجاتها، إخواني علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس، ما ملكها عبد إلا عز، وما ملكت عبدًا إلا ذل:

الحِّرصُ في كلِّ الأَفانينَ يَصُم ... أَما رأيتَ كلُّ ظهرٍ يَنقصمُ

وعروةُ مِنْ كلِّ حيٍ تَنفصمُ ... أَما سَمعتَ الحادثاتُ تَختصمُ

بَلْ حبكُ الأشياءُ يَعمِي وَيصمُ

قال مالك بن دينار: يقول الله عزَّ وجلَّ: «**وعزتي! إني لأهم بعذاب أهل الأرض، فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب**» وقال ميمون بن مهران: الذكر ذكران: ذكر باللسان وأفضل منه ذكر الله عند ما يشرف عليه من معاصيه.

عن النبي ﷺ قال: كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا، فلما قعد منها مقعد الرجل أرعدت وبكت، فقال: ما

يبكيك؟ قالت: هذا عمل لم أعمله قط، فقال: اذهبي والدنانير لك، ثم قال: والله! لا يعصي الله الكفل أبدًا، فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه: قد غفر الله للكفل.

يا مَنْ لا يترك ذنبًا يقدر عليه! يا من أكثر عمله الذي له عليه! كم ضيعت في المعاصي عصرًا؟ كم حملت على الأزر من الوزر أزرًا؟ أترضى أن تملأ الصحائف عيبًا وخسرًا؟ أما يكفي سلب القرين وعظًا وزجرًا؟ لقد ضيعت شطرًا من الزمان فاحفظ شطرًا، ما أبقت لك الصحة حجة، ولا تركت عذرًا، كم نعمة نزلت بك وما قرنتها شكرًا، تقابلها بالمعاصي فتبدل العرف نكرًا، كم سترك على الخطايا وأنت لا تقلع دهرًا، كم نمت عن صلاة وكم شربت خمرًا، كان الشيب هلالًا وقد صار بدرًا، تعاهد ولا تفي، إلى كم غدرًا؟ أطال عليك الأمد فصار القلب صخرًا، إنما بقي القليل فصبرًا يا نفس صبرًا

صَبَا مَنْ شَابَ مَفرِقَه تَصابي ... وَإنْ طَلَبَ الصَّبا وَالقَّلبُ صَابِي

أَعاذلٌ رَاضَني لَكَ شَيبُ رَأسِي ... وَلَولا ذَاكَ أَعيَاكَ اقتضَابِي

كَفَى بِالشيب مِن نَاهٍ مطاع ... عَلى كرهٍ ومن داعٍ مُجاب

حَطَطتُ إلى النُّهى رَحِلي وَكلتُ ... مَطيةَ بَاطِلي بَعدَ الهبابِ

وَقلتُ مُسلمًا للشيب أَهلًا ... بَهَادِي الُمخطِئين إلى الصَّوابِ

يُذكرنِي الشَّبابُ وَميضَ برقٍ ... وسجعُ حمامةٍ وَحنينُ نابِ

أأفجعُ بِالشَّبابِ وَلا أعزى ... لَقدْ غفَل الُمعزِي عَنْ مُصَابِي

يا دائم الخطايا والعصيان! يا شديد البطر والطغيان! ربح المتقون ولك الخسران، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ يا معتكفًا على زلله وذنبه لا يؤثر عنده أليم عتبه، أما المصر فقد طمس على قلبه فلا ينفعه وعظ اللسان، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ كم خوفت وما تخاف، يا من إذا أمر بالعدل حاف! الويل لك يا صاحب الإسراف، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ لو رأيت أهل الزيغ والعناد وأرباب المعاصي والفساد مقرنين في الأصفاد ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ قد سدت في وجوههم الأبواب،

وغضب عليهم رب الأرباب والنار شديدة الالتهاب والعذاب فيها ألوان، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ أعرض عنهم الرحيم، ومنعهم خيره الكريم، ويتقلبون في الجحيم، ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ سعيرهم قد أحرق، وزمهريرهم قد مزق، ونور المتقين قد أشرق، ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ سارت بهم إلى الجد المطايا فأجزلت لهم جزيل العطايا، ولأرباب الخطايا النيران، من عليهم بنعيم ما من لا يخطر لمن يتوهم ويظن وقد كفانا صفة الحور من وصفهن ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ أيها العاصي! قد اجتهدنا في صلاحك، وعرضنا في التجارة لأرباحك، وأنت على المعاصي في مسائك وصباحك، وبعد فما نيأس من فلاحك، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (١٨)

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾

لقد ربح القوم وأنت نائم، وخبت ورجعوا بالغنائم، أنت بالليل راقد وبالنهار هائم، وغاية ما تشتهي مشاركة البهائم، نظروا في عواقب الأمور فقبروا أنفسهم قبل القبور، وخرجوا من ظلام الشبهة إلى أجلى نور، فما استفزهم فان ولا أذلهم غرور، عرضوا على النفوس ذكر العرض فاعترضها القلق، وصوروا إحراق الصور فأحرقهم الفرق، وتفكروا في نشر الصحائف فأزعجهم الأرق، وتذكروا محمدة المخاوف فسالت الحدق، أطار خوف النار نومهم، وأطال ذكر العطش الأكبر صومهم، وهون فكرهم في العتاب نصبهم، ونصبهم على الأقدام ذكر القيام وأنصبهم، أما الأجساد فالخوف قد أنحلها، وأما العقول فالحذر قد أذهلها، وأما القلوب فالفكر قد شغلها، وأما الدموع فالإشفاق قد أرسلها، وأما الأكف فقد كفت عما ليس لها، وأما الأعمال فقد والله قبلها، حوانيتهم الخلوات، وبضائعهم الصلوات، وأرباحهم الجنات، وأزواجهم الحسنات.

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾:

عرفوا طريق النجاة فوقفوا على قدم الأدب في المناجاة، فنال كل منهم ما رجاه، فلهم عنده أعظم قدر.

كان عبد الله بن الزبير يومًا يُصلي في الحجر مرخيًا يديه، فوافى حجر قذاف فذهب بطائفة من ثوبه فما انفتل من صلاته

كان المعلى بن منصور الرازي يومًا يُصلي فوقع على رأسه كور الزنابير، فما التفت وما انفتل حتى أتم صلاته، فنظروا فإذا رأسه قد صار هكذا من شدة الانتفاخ، وكان

مسلم بن يسار لا يلتفت في صلاته، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع لها أهل السوق فما التفت، وكان إذا دخل منزله سكت أهل بيته، فإذا قام يصلي تكلموا أو ضحكوا علمًا منهم بأن قلبه مشغول عنهم، وكان يقول: إلهي! متى ألقاك وأنت عني راض؟

إِذَا اشتَغَلَ اللاَهُونَ عَنكَ بِشغلِهم — جَعلتْ اشتغالِي فِيك يَا مُنيتي شُغلِي

فَمَنْ لِي بَأَنْ أَلقاكَ فِي سَاعةَ الرِّضَا — ومَنْ لِي بَأنْ أَلقاكَ والكلُّ لِي مَنْ لِي

يقول: صلى أبو زرعة الرازي في مسجده عشرين سنة بعد قدومه من السفر، فلما كان يوم من الأيام قدم عليه قوم من أصحاب الحديث، فنظروا فإذا في محرابه كتابة، فقالوا له: كيف تقول في الكتابة في المحاريب؟ فقال: قد كرهه قوم ممن مضى، فقالوا له: هو ذا في محرابك كتابة، أما علمت به؟ فقال: سبحان الله! رجل يدخل على الله تعالى ويدري ما بين يديه؟

مر عصام بن يوسف بحاتم الأصم وهو يتكلم في مجلسه، فقال: يا حاتم! كيف تصلي؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشي بالسكينة، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأسلمها بالإخلاص إلى الله تعالى، وأخاف ألا يتقبل مني، فقال: تكلم فأنت تحسن أن تصلي، يا هذا بين صلاتك وصلاتهم كما بين وقتك وأوقاتهم.

يا غائب القلب في صلاته! يا شتيت الهم في جهاته! يا مشغولًا بآفاته عن ذكر وفاته! يا قليل الزاد مع قرب مماته! يا من يرحل عن الدنيا في كل لحظة مرحلة! وكتابه قد حوى حتى مقدار خردلة، وما ينتفع بنذير والنذر متصلة، وما يرعوي لنصيح وكم قد عذله، ودروعه متخرقة والسهام مرسلة، ونور الهدى قد يرى وما رآه ولا تأمله، وهو يأمل البقاء وقد رأى مصير من أمله وأجله قد دنا، ولكن أمله قد شغله، وقد انعكف على العيب بعد الشيب بصبابة ولهٍ، ويحضر بدنه في الصلاة فأما القلب فقد أهمله، كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة، ونعم جسدك فلا بد للدود أن يأكله، يا عجبًا من فتور مؤمن بالجزاء والمسألة، أيقين



بالنجاة أم غرور وبله، بادر ما بقي من العمر واستدرك أوله، فبقية عمر المؤمن لا قيمة له، إخواني حسن الأدب في الصلاة دليل على معرفة المخدوم، والتفات البدن دليل على إعراض القلب، وقد وصفت لك أحوال الخاشعين فهل أنت منهم أو من الغافلين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (١٩)

﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾

سبحان مَنْ قومهم وأصلحهم، وعاملوه باليسير فأربحهم، واعتذروا من التقصير فسامحهم، وقد أثنى عليهم ومدحهم أفتعنون ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾؟.

اغتنم القوم الأيام، واجتنبوا الخطايا والآثام، وصمتوا عن رديء الكلام، وصموا عن استماع الحرام، فكأنهم ما يسمعون ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ كفوا الأكف عن الفساد، وهجرت الرءوس الوساد، وحضر القلب للمناجاة وانقاد، وأنتم في سكر الرقاد، وهم يركعون ويسجدون، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ ما أوفى تلك الأحوال، ما أصفى تلك الخصال، ما أزكى تلك الأعمال، جمعوا الهموم فأما الأموال فلا يجمعون، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ نقوا بالرياضة وهذبوا، وابتلوا بفراق المحبوب وجربوا، وأديروا في فنون التكليف وقلبوا، فإذا بعدتم يوم الحضور وقربوا، فماذا تصنعون؟ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ ما ضر النفوس ما نكا فيها حين نكافيها، نعفو عنها يوم اللقاء ونعافيها، وندخلها جنة يروق فيها صافيها، ولهم فيها ما يدعون، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ نزلوا والله المقام الأمين، وكتبوا في أصحاب اليمين، ونالوا كل مثمن ثمين، وأسكنوا القصور وأعطوا الحور العين، كلها أبكار ليس فيها عون، قد عوضوا عن حريق القلق الرحيق، وأبدلوا عن بريق السيوف الأباريق، وقوبلت رياضتهم بالروض الأنيق، فهم يرتعون فيما يربعون، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ إخواني توانيتم وسير القوم حثيث، وصفت أعمالهم وفعلكم كدر خبيث، ونصحناكم ولكن قد ضاع الحديث، وما



أراكم تسمعون، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ يا ربنا وفقنا لما وفقت القوم، وأيقظنا يا مولانا من سنة الغفلة والنوم، وارزقنا الاستعداد لذلك اليوم، الذي يربح فيه العاملون، ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢٠)


﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه وقيل: صلى زرارة بن أبي أوفى بالناس فقرأ المدثر، فلما بلغ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ خر ميتًا، وكان إبراهيم التيمي يذكر وأبو وائل ينتفض انتفاضًا.

وقال مالك بن دينار: رأيت جويرية تطوف بالبيت، وتقول: يا رب! كم من شهوة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها، يا رب! ما كان لك عقوبة إلا بالنار، فما زالت كذلك إلى الصباح، يا عجبًا تنام عين مع مخافة، أم كيف تلهو نفس مع ذكر المحاسبة؟

كان داود الطائي يقول في ظلام الليل: همك عطل على الهموم وحالف بيني وبين السهاد، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب، وقيل: كان عتبة الغلام طويل البكاء، فقيل له: ارفق بنفسك، فقال: إنما أبكي على تقصيري.

وقيل لعبد الواحد بن زيد: ما نفهم كلامك من بكاء عتبة، فقال: أيبكي عتبة على نفسه وأنهاه أنا؟ لبئس واعظ قوم.

وكان يزيد بن مرثد دائم البكاء، فكانت زوجته تقول: ويحي ما خصصت به من طول الحزن معك ما تقر لي عين.

لما خفيت العواقب على المتقين، فزعوا إلى القلق، واستراحوا إلى البكاء، قال مالك بن دينار: وددت أن الله عزَّ وجلَّ أذن لي يوم القيامة إذا وقفت بين يديه أن أسجد سجدة فأعلم أنه قد رضي عني، ثم يقول يا مالك! كن ترابًا:

قَدْ أَوبقتنِي ذُنوبُ لستُ أَحصرُهَا ... فاجعلْ تَغمَدهَا مِنْ بَعضِ إِحسانَكَ

وارفقْ بِنفسِي يَا ذَا الجُودِ إِنْ جهلتْ ... مِقدَار زَلتِهَا مِقدَار غُفرَانك

أعقل الناس محسن خائف، وأحمق الناس مسيء آمن، كان بشر الحافي لا ينام الليل ويقول: أخاف أن يأتي أمر الله وأنا نائم:

وَكُلـمَا هـمَّ بِـذوقِ الـكَّرى ... صَـاحَ بِـهِ الهُّـجـرانُ قَـمْ لا تنمْ

ذكرت نفوس القوم العذاب فأنتَّ، وتفكرت في شدة العتاب فأرنتَّ، تذكرت ما جنت مما تجنت فجنت، أزعجها الحذر ولولا الرجاء ما اطمأنت، آه لنفسٍ ضنت بها بذلوه ثم رجت ما نالوه، بئس ما ظنت! ما نفس سابقت كنفس تأنت:

طَربتُ لِذكرىَ مِنكَ هزتْ جَوانحِي ... كَما يَطربُ النَّشوَانُ كَأسض مُدَام

وَمَا ذَكرتُكَ النَّفسَ إلا أَصَابهَا ... كَلدغ ضُـرَامِ أَوْ كَوخزِ سِهَامٍ

وَإنْ حَديثًا مِنكَ أَحلى مُذاقه ... مِـنْ الشَّهدِ مَمزوجًا بِمَـاءِ غَمامٍ

كيف لا يخاف من قلبه بيد المقلب؟ من ظن أن عمي يسلم؟ من ظن أن برصيصًا يكفر؟ رب غرس من المنى أثمر؟ وكم من مستحصد تلف، كرة القلب بحكم صوجان التقليب إن وقفت الكرة طردت، وإن بعدت طلبت ليبين سر لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا نادى نادي البعد ألا ﴿ تَقْنَطُواْ ﴾ ويقال للمذنبين ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ لما قرب جبريل وميكائيل اهتزت الملائكة فخرًا بقرب جنسها من جناب العزة، فقطع من أغصانها شجرة هاروت، وكسر غصن ماروت، وأخذ من لبها كرة ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ ﴾ فتزودت في سفر العبودية زاد الحذر، وقادت في سبيل معروفها نجب التطوع للمنقطعين ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ نودي من نادى الإفضال ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ فسارت نجائب الأعمال إلى باب الجزاء، فصيح بالدليل ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾ فقال (ما منكم من ينجيه عمله).

رحم الله أعظمًا طالما نصبت وانتصبت، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت وثبت، إن ذكرت عدله ذهبت وهربت، وإن تصورت فضله فرحت وطربت اعترفت إذ نبت عن طاعته أنها قد أذنبت، وقفت شاكرة لمن لحمها على جوده نبت، هبتْ على أرض القلوب

عقيم الحذر فاقشعرت، وندبت فبكت عليها سحائب الرجاء فاهتزت وربت، بحسبك أنَّ قومًا موتى تحيا بذكرهم النفوس، وأنَّ قومًا أحياء تقسو برؤيتهم القلوب، رحل القوم وبقيت الآثار في الآثار، سألوا طول التعبد عنهم فقالت: خلت الديار.

إِذَا دَمعِي شَكَا البَيْنَ بَينهَا شَكَا غَير ذِي نطقٍ إلى غَير ذِي فَهمٍ

جال الفكر في قلوبهم فلاح صوابهم، وذكروا التوفيق فمحا التذكر إعجابهم، وما دووا للمخافة فأصبحت دموعهم شرابهم، وترنموا بالقرآن فأمسى مزهرهم وربابهم، وكلفوا بطاعة الإله فألفوا محرابهم وخدموه مبتذلين في خدمته شبابهم، فيا حسنهم وريح الأسحار قد حركت أثوابهم، وحملت قصيص القصص ثم ردت جوابهم.

لا يطمعن البطال في منازل الأبطال، إن لذة الراحة لا تنال بالراحة، من زرع حصد ومن جد وجد.

وَكَيفَ يَنالُ المَجد وَالجِسمُ وَادعٌ وَكَيفَ يُجَاءُ الحَمدُ وَالوفر وَافرٌ

أي مطلوب نيل من غير مشقة، وأي مرغوب لم تبعد على طالبة الشقة، المال لا يحصل إلا بالتعب، والعلم لا يدرك إلا بالنصب، واسم الجواد لا يناله بخيل، ولقب الشجاع لا يحصل إلا بعد تعب طويل.

سبحان مَنْ أيقظ المتقين وخلع عليهم خلع اليقين، وألحقهم بتوفيقه بالسابقين، فباتوا في جلباب الجد متسابقين.

﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ كلما أذهب الأعمار طلوعهم وغروبهم، سالت من الأجفان جزعًا غروبهم، وكلما لاحت لهم في مرآة الفكر ذنوبهم، تجافت عن المضاجع خوفًا جنوبهم، وكلما نظروا فساءهم مكتوبهم ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

دموعهم على الدوام تجري، وعزتي لأربحنهم في معاملتي وتجري، عظمت قدرتي في صدورهم وقدري، فاستعاذوا بوصلي من هجري، عاملوا معاملة من يفهم ويدري، فنومهم على فراش القلق وهبوبهم ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

أموات عن الدنيا ما دفنوا، أغمضوا عنها عيونهم وحزنوا، ولو فتحوا أجفان الشره لفتنوا، باعوها بما يبقى، فلا والله ما غبنوا، تالله لقد حصل مطلوبهم ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

حبسوا النفوس في سجن المحاسبة، وبسطوا عليها ألسن المعاتبة، ومدوا نحوها أكف المعاقبة، وتحق لمن بين يديه المناقشة والمطالبة، فارتفعت بالمعاتبة عيوبهم ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

شاهدوا الأخرى باليقين كرأى العين فباعوا العقار، وأخرجوا العين وعلموا بمقتضى الدين أن التقى دين، فدنياهم خراب وأخراهم على الزين قد قنعوا بكسرتين وجرعتين، هذا مأكولهم ، مطلوبهم ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ والحمد لله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢١)

حُسن الخلق

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، **أما بعد**،

فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس بن حصن، -وكان من النّفر الذين يدنيهم عمر- وكان القرّاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته، كهولًا كانوا أو شبّانًا- فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي! هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عبّاس: فاستأذن لعيينة. فلمّا دخل قال: يا ابن الخطّاب، والله! ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتّى همّ بأن يقع به، فقال الحرّ:

يا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وإنّ هذا من الجاهلين. فوالله! ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافا عند كتاب الله» [رواه البخاري].

- **قال عليّ** رضي الله عنه: «حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتّوسعة على العيال».

- **عن الحسن** رضي الله عنه قال: «حسن الخلق: الكرم والبذلة والاحتمال»

- **وعنه** رضي الله عنه: «حسن الخلق بسط الوجه وبذل النّدى وكفّ الأذى».

- **عن عبد الله بن المبارك** رحمه الله في تفسير حُسن الخلق، قال: «هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكفّ الأذى».

- وعنه أنّه قال: «حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من النّاس».

- **قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد».

- **قال محمّد بن نصر**: وقال بعض أهل العلم: «حسن الخلق كظم الغيظ لله، وإظهار الطّلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزّالّين إلا تأديبًا أو إقامة لحدّ، وكفّ الأذى عن كلّ مسلم ومعاهد إلا تغييرًا لمنكر، أو أخذًا بمظلمة لمظلوم من غير تعدّ».

- **قال الشيخ تقيّ الدّين أبو العبّاس ابن تيميّة**، في كتاب «الإيمان»: «ما همّ العبد به من القول الحسن والعمل الحسن، فإنّما يكتب له به حسنة واحدة، وإذا صار قولًا وعملًا كتب له عشر حسنات إلى سبعمائة، وذلك للحديث المشهور في الهمّ».

- **قال ابن القيّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «جمع النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأنّ تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربّه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبّة الله، وحسن الخلق يدعو النّاس إلى محبّته».

- **قال ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنّ حسن الخلق قد يراد به التّخلّق بأخلاق الشّريعة والتّأدّب بآداب الله الّتي أدّب بها عباده في كتابه، كما قال لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾».

- **قال الأحنف بن قيس**: «ألا أخبركم بأدوأ الدّاء؟ قالوا: بلى. قال: الخلق الدّنيّ، واللّسان البذيّ».

- **قال الماورديّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقلّ معادوه، فتسهّلت عليه الأمور الصّعاب، ولانت له القلوب الغضاب»

- **قال القاضي عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأمّا الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة، والآداب الشّريفة الّتي اتّفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها، وتعظيم المتّصف بالخلق الواحد منها فضلًا عمّا فوقه، وأثنى الشّرع على جميعها، وأمر بها، ووعد السّعادة الدّائمة للمتخلّق بها، ووصف بعضها بأنّه من أجزاء النّبوّة، وهي المسمّاة بحسن الخلق، وهو الاعتدال في قوى النّفس وأوصافها، والتّوسّط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها، فجميعها قد كانت خلق نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الانتهاء في كمالها، والاعتدال إلى غايتها».

قال بعض البلغاء: «الحسن الخلق من نفسه في راحة، والنّاس منه في سلامة، والسيئ الخلق النّاس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء».

جمع بعضهم علامات حسن الخلق؛ فقال: «هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصّلاح، صدوق اللّسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزّلل، قليل الفضول، برًّا، وصولًا، وقورًا، صبورًا، شكورًا، رضيًّا، حليمًا، رفيقًا، شفيقًا، لا لعّانًا، ولا سبّابًا، ولا نمّامًا، ولا مغتابًا، ولا عجولًا، ولا حقودًا، ولا بخيلًا، ولا حسودًا، بشّاشًا هشّاشًا، يحبّ في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢٢)

الغضب

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فقد قال يحيى لعيسى - عليهما السّلام -: لا تغضب، قال: لا أستطيع أن لا أغضب إنّما أنا بشر، قال: لا تقتنِ مالًا، قال: هذا عسى.

- عن ذي القرنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد نقل عنه: أنّه لقي ملكا من الملائكة فقال: علّمني علما أزدد به إيمانًا ويقينًا، قال: لا تغضب؛ فإنّ الشّيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فردّ الغضب بالكظم، وسكّنه بالتّؤدة، وإيّاك والعجلة؛ فإنّك إذا عجلت أخطأت حظّك، وكُن سهلًا ليّنًا للقريب والبعيد، ولا تكن جبّارًا عنيدًا.

- قال ابن عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ قال: الصّبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عصمهم الله، وخضع لهم عدوّهم.

- قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «انظروا إلى حلم الرّجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع؟.

- قال زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمّا خرج إلى الشّام يسأل عن الدّين ويتّبعه، فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم؟ فقال: إنّي لعلّي أن أدين دينكم فأخبرني. فقال: لا تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفرّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئًا وأنا أستطيعه، فهل تدلّني على غيره؟ قال: لا أعلمه إلا أن يكون حنيفًا. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله.

فخرج زيد فلقي عالمًا من النّصارى. فذكر مثله فقال:

لن تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: ما أفرّ إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا، أبدًا وأنّي أستطيع؟ فهل تدلّني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله. فلمّا رأى زيد قولهم في إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خرج فلمّا برز رفع يديه فقال: اللهمّ إنّي أشهد أنّي على دين إبراهيم.

- **قال عروة بن الزّبير** رضي الله عنهما: «مكتوب في الحكم: يا داود! إيّاك وشدّة الغضب، فإنّ شدّة الغضب مفسدة لفؤاد الحكيم».

- **قال مجاهد** رَحِمَهُ اللهُ: «قال إبليس -لعنه الله-: ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث: إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا، وعمل لنا بما أحببنا، وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم، ونُبخّله بما في يديه ونمنّيه بما لا يقدر عليه.

- كتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ إلى عامله: «ألّا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه، ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا.

- **قال جعفر الصّادق** رَحِمَهُ اللهُ: «ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

ووجّه العلماء كلامه بقولهم: إنّ الأخلاق ثلاثة بحسب القوى الإنسانيّة: عقليّة، وشهويّة، وغضبيّة. فالعقليّة: الحكمة، ومنها: الأمر بالمعروف، والشّهويّة العفّة، ومنها: أخذ العفو، والغضبيّة: الشّجاعة، ومنها: الإعراض عن الجاهلين.

- **وقال أيضًا**: «الغضب مفتاح كلّ شرّ».

- قال عمران بن موسى المؤدّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال بعض الحكماء: كما أنّ الأجسام تعظم في العين يوم الضّباب، كذلك يعظم الذّنب عند الغضب».

- قال الماورديّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان بعض الملوك إذا غضب ألقي عنده مفاتيح تُرَبِ الْمُلوك فيزول غضبه».

– وقال: «مكتوب في التّوراة: يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق».

- قال الغزاليّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ممّا يدلّ على أنّ الغضب من أخلاق النّاقصين: أنّ المريض أسرع غضبًا من الصّحيح، والمرأة أسرع غضبًا من الرّجل، والصّبيّ أسرع غضبًا من الرّجل الكبير، والشّيخ الضّعيف أسرع غضبًا من الكهل، وذا الخلق السيئ والرّذائل القبيحة أسرع غضبًا من صاحب الفضائل، فالرَّذْلُ يغضب لشهوته إذا فاتته اللّقمة، ولبخله إذا فاتته الحبّة، حتّى إنّه يغضب على أهله وولده وأصحابه، بل القويّ مَنْ يملك نفسه عند الغضب.

– وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حال القلب عند الغضب في الاضطراب، أشدّ من حال السّفينة عند اضطراب الأمواج في لجّة البحر، إذ في السّفينة مَنْ يحتال لتسكينها وتدبيرها وسياستها، أمّا القلب فهو صاحب السّفينة، وقد سقطت حيلته بعد أن أعماه الغضب وأصمّه، ويظهر ذلك على أعضائه وكلامه وفعاله، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياءً من قبح صورته، واستحالة خلقته، وقبح الباطن أعظم من قبح الظّاهر، فإنّ الظّاهر عنوان الباطن، وإنّما قبحت صورة الباطن أوّلًا، ثمّ انتشر قبحها إلى الظّاهر ثانيًا، وأمّا في اللّسان فأثره بالشّتم والفحش الّذي يستحي منه قائله عند سكون الغضب، فضلًا عن تخبّط النّظم واضطراب اللّفظ، وأمّا أثره على الأعضاء فالضّرب والتّهجّم والتّمزيق والقتل للمغضوب عليه، وإذا فلت منه بسبب عجز أو

غيره، فقد يرجع إلى صاحبه فربّما مزّق ثوب نفسه أو لطم وجهه، وربّما ضرب بيده على الأرض، وأمّا أثره في القلب على المغضوب عليه، فالحقد والحسد واضحًا والسّوء والشّماتة بالمَسَاءات».

- **قال ابن القيّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «دخل النّاس النّار من ثلاثة أبواب: «باب شبهة أورثت شكّا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه».

- **قال بعض الحكماء** لابنه: «يا بنيّ! لا يثبت العقل عند الغضب، كما لا تثبت روح الحيّ في التّنانير المسجورة، فأقلّ النّاس غضبًا أعقلهم، فإن كان لدنيا كان دهاءً ومكرًا، وإن كان للآخرة كان حلمًا وعلمًا، فقد قيل: الغضب عدوّ العقل والغضب غول العقل».

- وقال آخر: «مَنْ أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النّار».

- قال بعض الحكماء: «الغضب على مَنْ لا تملك عجز، وعلى مَنْ تملك لؤم».

- وقال آخر: «إيّاك وعزّةَ الغضب؛ فإنّها تفضي إلى ذلّ الاعتذار»

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢٣)

الرضـــا

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فقد قال لقمان لابنه: «أوصيك بخصال تقرّبك من الله وتباعدك من سخطه: أن تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وأن ترضى بقدر الله فيما أحببت وكرهت».

- كتب عمر بن الخطّاب إلى أبي موسى رضي الله عنهما: «أمّا بعد، فإنّ الخير كلّه في الرّضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر».

- **عن ابن عبّاس** رضي الله عنهما قال: «لمّا كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان، خرج بإسماعيل وأمّ إسماعيل، ومعهم شنّة فيها ماء، فجعلت أمّ إسماعيل تشرب من الشّنّة فيدرّ لبنها على صبيّها، حتّى قدم مكّة فوضعها تحت دوحة، ثمّ رجع إبراهيم إلى أهله، فاتّبعته أمّ إسماعيل حتّى لمّا بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم! إلى مَنْ تتركنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيت بالله».

- **قال عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما: «إذا توفّي العبد المؤمن، أرسل الله إليه ملكين، وأرسل إليه بتحفة من الجنّة، فيقال: اخرجي أيّتها النّفس المطمئنّة، اخرجي إلى روح وريحان وربّ عنك راض».

- **عن عائشة** رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾، قالت: «هو الرّجل يرى من امرأته ما لا يعجبه كبرًا أو غيره فيريد فراقها، فتقول: أمسكني، أو اقسم لي ما شئت، قالت: ولا بأس إذا تراضيا».

- **قال ميمون بن مهران:** «مَنْ لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء».

- **قال الرّبيع بن أنس:** «علامة حبّ الله، كثرة ذكره، فإنّك لا تحبّ شيئًا إلا أكثرت من ذكره، وعلامة الدِّين: الإخلاصُ للهّ في السّرّ والعلانية، وعلامة الشّكر: الرّضا بقدر الله والتّسليم لقضائه».

- **عن مالك بن أنس** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: بلغني أنّ رجلًا من بعض الفقهاء كتب إلى ابن الزّبير رضي الله عنهما يقول: «ألا إنّ لأهل التّقوى علامات يعرفون بها، ويعرفونها من أنفسهم، مَنْ رضي بالقضاء، وصبر على البلاء، وشكر على النّعماء، وصدق باللّسان، ووفّى بالوعد والعهد، وتلا لأحكام القرآن، وإنّما الإمام سوق من الأسواق، فإن كان من أهل الحقّ حمل إليه أهل الحقّ حقّهم، وإن كان من أهل الباطل حمل إليه أهل الباطل باطلهم».

- **قال عبد الله بن المبارك:** قال داود لابنه سليمان -عليهما السّلام-: «يا بنيّ، إنّما تستدلّ على تقوى الرّجل بثلاثة أشياء: لحسن توكّله على الله فيما نابه، ولحسن رضاه فيما آتاه، ولحسن زهده فيما فاته».

- **قال ابن القيّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثمرة الرّضا: الفرح والسّرور بالرّبّ تبارك وتعالى».

- **قال الفيروز آباديّ:** «رضا العبد عن الله على ألا يكره ما يجري به قضاؤه، والرّضوان الرّضا الكبيرُ، ولمّا كان أعظم الرّضا رضا الله، خصّ لفظ الرّضوان في القرآن بما كان من الله -تعالى-».

- قال محمود الورّاق:

أَعييتُ كُلّ النّاسِ مِنْ نَفسِي الرّضا	**إلا الحَسودَ فإنّه أَعيانِي**
مَا إنّ لِي ذَنبًا إليه عَملتُه	**إلا تَظاهرُ نِعمةُ الرّحمنِ**
وَأَبى فَمَا يَرضِيهِ إلا ذَلّتِي	**وَذهَابُ أَموَالِي وَقَطعُ لِسانِي**

- قال المتنبّيّ:

وَعينُ الرّضَا عَنْ كلّ عَيبٍ كَليلةٍ	**كَما أَنّ عَينَ السّخطِ تُبدي المُساويَا**



- قال كُشَاجِمٌ:

لَم أَرضْ عَنْ نَفسِي مَخافةً سُخطهَا ... وَرِضَا الفَتَى عَنْ نَفسِه إِغضابُها

وَلَوْ أنّني عَنهَا رَضيتُ لقصَّرَتْ ... عَمّا تَزيدُ بِمثلِه آدابُهَا

وَتبيّنتْ آثار ذَاكَ فَأكثرتُ ... عِذلِي عَليه فَطالَ فِيه عِتابُهَا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢٤)

الشهامة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فقد سأل رجل البراء رضي الله عنه فقال: يا أبا عمارة! أولّيتم يوم حنين؟ قال البراء: وأنا أسمع: أمّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يولّ يومئذٍ، كان أبو سفيان بن الحارث آخذٌ بعنان بغلته، فلمّا غشيه المشركون نزل فجعل يقول: أنا النّبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطّلب، قال: فما رئي من النّاس يومئذٍ أشدّ منه.

عن أنس رضي الله عنه قال: (كان النّبيّ صلى الله عليه وسلم أحسن النّاس وأجود النّاس وأشجع النّاس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق النّاس قبل الصّوت، فاستقبلهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم قد سبق النّاس إلى الصّوت، وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: لقد وجدته بحرًا، أو إنّه لبحر) [رواه البخاري ومسلم].

عن حذيفة العدويّ، قال: انطلقتُ يوم اليرموك أطلب ابن عمّ لي، ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم، فإذا رجل يقول: آه... فأشار ابن عمّي إليّ أن انطلق به إليه فجئته، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه.. فأشار هشام انطلق به إليه، فجئته، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمّي، فإذا هو قد مات -رحمة الله عليهم أجمعين-.

عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: خرجتُ مع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى السّوق، فلحقت عمرَ امرأة شابّة فقالت: يا أمير المؤمنين! هلك زوجي، وترك صبية صغارًا، والله ما ينضجون كراعًا، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضّبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاريّ، وقد شهد أبي الحديبية مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم . فوقف معها عمر ولم يمض، ثمّ قال: مرحبًا بنسب قريب ثمّ انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدّار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا، وحمل بينهما نفقة وثيابًا، ثمّ ناولها بخطامه، ثمّ قال: اقتاديه، فلن يفنى حتّى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين! أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أمّك، والله إنّي لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه ثمّ أصبحنا نستفيء سهمانا فيه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب يوم أُحُد لأخيه: خذ درعي يا أخي. قال: أريد من الشّهادة مثل الّذي تريد، فتركاها جميعًا.

عن سليمان بن بلال رضي الله عنه : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعًا الخروج معه، فذكر ذلك للنّبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأمر أن يخرج أحدهما. فاستهما، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد رضي الله عنهما : إنّه لا بدّ لأحدنا من أن يقيم، فأقم مع نسائك، فقال سعد: لو كان غير الجنّة لآثرتك به، إنّي أرجو الشّهادة في وجهي هذا، فاستهما، فخرج سهم سعد؛ فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، فقتله عمرو بن عبد ودّ.

عن معقل بن يسار أنّ عمر بن الخطّاب شاور الهرمزان في أصبهان وفارس وأذربيجان فقال: يا أمير المؤمنين! أصبهان: الرّأس، وفارس وأذربيجان الجناحان، فإذا قطعت إحدى الجناحين فالرّأس بالجناح، وإن قطعت الرّأس وقع الجناحان، فابدأ بأصبهان، فدخل عمر بن الخطّاب المسجد فإذا هو بالنّعمان بن مقرّن يصلّي، فانتظره

حتّى قضى صلاته، فقال له: إنّي مستعملك فقال: أمّا جابيًا فلا، وأمّا غازيًا فنعم. قال: فإنّك غاز فسرّحه، وبعث إلى أهل الكوفة أن يمدّوه ويلحقوا به، وفيهم حذيفة بن اليمان والمغيرة ابن شعبة... الحديث. وفيه فقال المغيرة للنّعمان: إنّ القوم قد أسرعوا فينا فاحمل، فقال: إنّك ذو مناقب وقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ، ولكنّي أنا شهدت رسول الله ﷺ إذا لم يقاتل أوّل النّهار، أخّر القتال حتّى تزول الشّمس وتهبّ الرّياح، فقال النعمان: أيّها النّاس! أهتزّ ثلاث هَزّات، فأمّا الهزّة الأولى: فليقض الرّجل حاجته، وأمّا الثّانية: فلينظر الرّجل في سلاحه وسيفه، وأمّا الثّالثة: فإنّي حامل فاحملوا، فإن قتل أحد فلا يلوي أحد على أحد، وإن قتلت فلا تلووا عليّ، إنّي داع الله بدعوة فعزمت على كلّ امرئ منكم لما أمّن عليها. فقال:

اللهمّ ارزق اليوم النّعمان شهادة تَنْصُرُ المسلمين، وافتح عليهم. فأمّن القوم، وهزّ لواءه ثلاث مرّات ثمّ حمل فكان أوّل صريع، فذكرت وصيّته فلم ألو عليه وأعلمت مكانه، فكنّآ إذا قتلنا رجلًا منهم شَغَل عنّا أصحابَه يجرّونه، ووقع ذو الحاجبين من بغلته الشّهباء، فانشقّ بطنه، وفتح الله على المسلمين، فأتيت النّعمان وبه رمق، فأتيته بماء فجعلت أصبّه على وجهه أغسل التّراب عن وجهه، فقال: من هذا؟ فقلت: معقل بن يسار، فقال: ما فعل النّاس؟ فقلت: فتح الله عليهم، فقال: الحمد لله، اكتبوا بذلك إلى عمر، وفاضت نفسه.

كان سبب فتح المعتصم عمّوريّة: أنّ امرأة من الثّغر سبيت فنادت: وا محمّداه!! وامعتصماه!!، فبلغه الخبر فركب لوقته، وتبعه الجيش فلمّا فتحها قال: لبّيك أيّتها المنادية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢٥)

الصفح

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**اللهمّ إنّي أتّخذ عندك عهدًا لن تخلفنيه، فإنّما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة، تقرّبه بها إليك يوم القيامة**».

- **عن عروة بن الزّبير**: أنّ أسامة بن زيد رضي الله عنهما أخبره أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه قطيفة فدكيّة وأسامة وراءه يعود سعد بن عبادة في بني حارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، فسارا، حتّى مرّا بمجلس فيه عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أُبيّ، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة، فلمّا غشيت المجلس عجاجة الدّابّة خمّر ابن أُبيّ أنفه بردائه، وقال: لا تغبّروا علينا، فسلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، ثمّ وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن.

فقال له عبد الله بن أبيّ ابن سلول: أيّها المرء، لا أحسن ممّا تقول إن كان حقًّا، فلا تؤذنا به في مجالسنا، فمن جاءك، فاقصص عليه.

قال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا في مجالسنا، فإنّا نحبّ ذلك فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتّى كادوا يتساورون.

فلم يزلْ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفّضهم حتّى سكنوا.

ثمّ ركب رسول الله ﷺ دابّته، فسار حتّى دخل على سعد بن عبادة، فقال رسول الله ﷺ: أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أبيّ، قال كذا وكذا، فقال سعد بن عبادة: أي رسول الله، بأبي أنت، اعف عنه واصفح، فو الّذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحقّ الّذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوّجوه ويعصّبوه بالعصابة، فلمّا ردّ الله ذلك بالحقّ الّذي أعطاك شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت.

فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ...﴾ [آل عمران:١٨٦] الآية. وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [البقرة:١٠٩]، فكان رسول الله ﷺ يتأوّل في العفو عنهم ما أمره الله به، حتّى أذن له فيهم، فلمّا غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله بها من قتل من صناديد الكفّار وسادة قريش، فقفل رسول الله ﷺ وأصحابه منصورين غانمين، معهم أسارى من صناديد الكفّار وسادة قريش، قال ابن أبيّ ابن سلول ومَنْ معه من المشركين عبدة الأوثان: هذا أمر قد توجّه، فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، فأسلموا [رواه البخاري ومسلم].

- **قال يوسف** عليه السلام لإخوته لمّا حضرته الوفاة: «يا إخوتاه، إنّي لم أنتصف لنفسي من مظلمة ظلمتها في الدّنيا، وإنّي كنت أظهر الحسنة، وأدفن السّيّئة، فذلك زادي من الدّنيا، يا إخوتي! إنّي شاركت آبائي في صالح أعمالهم، فأشركوني في قبورهم».

- **قال معاوية**: «عليكم بالحلم والاحتمال حتّى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصّفح والإفضال».

- **عن صالح بن أحمد بن حنبل قال:**

«قلت لأبي يومًا: إنّ فَضْلًا الأنْماطيَّ جاء إليه رجل، فقال: اجعلني في حلّ، قال: لا جعلت أحدًا في حلّ أبدًا، قال: فتبسّم، فلمّا مضت أيّام، قال: يا بنيّ، مررت بهذه الآية ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، فنظرت في تفسيرها، فإذا هو: إذا كان يوم القيامة قام مناد فنادى: لا يقوم إلا مَنْ كان أجره على الله، فلا يقوم إلا مَنْ عفا فجعلت الميّت في حلٍّ من ضربه إيّاي، ثمّ جعل يقول: وما على رجل ألا يعذّب الله بسببه أحدا».

- **قال ابن تيميّة** رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكرَ اللهُ تعالى في كتابه الصّبرَ الجميلَ، والصّفحَ الجميل، والهجر الجميل، الصّبرُ الجميل: هو الّذي لا شكوى فيه ولا مَعَهُ، والصّفحُ الجميلُ: هو الّذي لا عتاب معه، والهجرُ الجميل: هو الّذي لا أذى معه.

- **عن عليّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ قال: «الرّضا بغير عتاب».

- **عن مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ قال: هذا الصّفح الجميل كان قبل القتال.

- **قال الطّبريّ** عند قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾: وإن تعفوا أيّها المؤمنون عمّا سلف منهم مَنْ صدّهم إيّاكم عن الإسلام والهجرة، وتصفحوا لهم عن عقوبتكم إيّاهم على ذلك، وتغفروا لهم غير ذلك من الذّنوب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢٦)

الفقه



بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فقد قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : «تفقّهوا قبل أن تسودوا»، قال أبو عبد الله -يعني البخاريّ-: «وبعد أن تسودوا، وقد تعلّم أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم في كبر سنّهم».

ـ **عن عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه قال: «إنّ الفقيه حقّ الفقيه مَنْ لم يقنّط النّاس من رحمة الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمّنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره؛ إنّه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم فيه، ولا قراءة لا تدبّر فيها».

– روى قثم بن العباس رضي الله عنهما قال: «قيل لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة. قيل فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشّمس».

ـ **عن مجاهد** قال: بينما نحن وأصحاب ابن عبّاس حلق في المسجد، وسعيد بن جبير وعكرمة، وابن عبّاس قائم يصلّي، إذ وقف علينا رجل فقال: هل من مفتٍ؟ فقلنا: سلْ، فقال: إنّي كلّما بلت تبعه الماء الدّافق، قال قلنا: الّذي يكون منه الولد قال: نعم، قلنا: عليك الغسل، قال: فولّى الرجل وهو يرجّع، قال: وعجل ابن عبّاس في صلاته، ثمّ قال لعكرمة: عليّ بالرّجل، وأقبل علينا فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرّجل، عن كتاب الله؟ قلنا: لا. قال: فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا: لا، قال: فعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قلنا: لا، قال: فعمّه؟ قلنا: عن رأينا، قال فقال: فلذلك قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشدّ على الشّيطان من ألف عابد» قال: وجاء الرّجل فأقبل عليه ابن عبّاس فقال: أرأيت إذا كان ذلك منك أتجد شهوة في قلبك؟ قال: لا، قال فهل تجد خدرًا في جسدك؟ قال: لا، قال: إنّما هذه إبْرادة يجزيك منها الوضوء. [أخرجه ابن عساكر بإسناد حسن].

- **عن ابن أبي مليكة:** قيل لابن عبّاس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنّه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنّه فقيه.

- **قال ابن عبّاس** رضي الله عنهما: «كونوا ربّانيّين حكماء فقهاء».

- **عن مسروق** رحمه الله قال: جاء إلى عبد الله رجل فقال: «تركتُ في المسجد رجلًا يفسّر القرآن برأيه، يفسّر هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال: يأتي النّاس يوم القيامة دخان فيأخذ بأنفاسهم، حتّى يأخذهم منه كهيئة الزّكام.

فقال عبد الله: مَنْ علم علمًا فليقل به، ومَنْ لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنّ مِنْ فقه الرّجل أن يقول، لما لا علم له به: الله أعلم.

إنّما كان هذا، أنَّ قريشًا لمّا استعصت على النّبيّ ﷺ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف. فأصابهم قحط وجهد، حتّى جعل الرّجل ينظر إلى السّماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدّخان من الجهد، وحتّى أكلوا العظام، فأتى النّبيّ ﷺ رجل فقال: يا رسول الله! استغفر الله لمضر فإنّهم قد هلكوا. فقال: «لمضر؟ إنّك لجريء. قال: فدعا الله لهم. فأنزل الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، قال فمطروا فلمّا أصابتهم الرّفاهية، قال: عادوا إلى ما كانوا عليه. قال: فأنزل الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴾ [الدخان: ١٠-١١]، إلى قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان: ١٦] قال: يعني يوم بدر.

- قالت عائشة رضي الله عنها: «نعم النّساء نساء الأنصار، لم يمنعهنّ الحياء أن يتفقّهنّ في الدّين».

- **قال أبو هريرة** رضي الله عنه «لأنْ أفقه ساعة أحبّ إليّ من أن أحيي ليلة أصلّيها حتّى أصبح، وفقيه أشّدّ على الشّيطان من ألف عابد، ولكلّ شيء دعامة ودعامة الدّين الفقه».

- **قال أبو الدرداء** رضي الله عنه: «من فقه المرء، إقباله على حاجته حتّى يقبل على صلاته، وقلبه فارغ».

- **عن سلمان** رضي الله عنه: «أنّه نزل على نبطيّة بالعراق، فقال لها: هل هاهنا مكان نظيف، أصلّي فيه؟ فقالت: طهّر قلبك، وصلّ حيث شئت، فقال: فَقِهتُ، أي: فهمتُ وفطنتُ للحقّ والمعنى الّذي أرادتْ».

- **قال الحسن البصريّ**: «الفقيه الورع الزّاهد الّذي لا يسخر ممّن أسفل منه، ولا يهمز من فوقه، ولا يأخذ على علم علّمه اللهُ، حطامًا».

- وقال أيضًا: «إنّما الفقيه الزّاهد في الدّنيا الرّاغب في الآخرة، البصير في أمر دينه، المداوم على عبادة الله -عزّ وجلّ-».

- وروي عنه قال: «ما رأينا فقيهًا يماري».

- **وقال عبد الله بن عون البصريّ** -من صغار التّابعين-: «ثلاث أحبّهنّ لنفسي ولإخواني: هذه السّنّة. أن يتعلّموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهّموه ويسألوا النّاس عنه، ويَدَعوا النّاس إلا من خير».

- **قال عمر بن عبد العزيز** رحمه الله: «خمس إذا أخطأ القاضي منهنّ خلة كانت فيه وصمة: أن يكون فهمًا، حليمًا، عفيفًا، صليبًا، عالمًا، سَئولًا عن العلم».

- قال الإمام الشّافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «مَنْ تعلّم القرآن عظمت قيمته، ومَنْ تعلّم الفقه نبل مقداره، ومَنْ كتب الحديث قويت حجّته، ومَنْ تعلّم الحساب جزل رأيه، ومَنْ تعلّم اللّغة رقّ طبعه، ومَنْ لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه».

- وأنشد الرّبيع عن الشّافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمنزلةُ السّفيه مِنْ الفقيه ... كَمنزلةِ الفقيهِ مِنَ السّفيهِ
فَهذَا زَاهدٌ في قُربِ هَذا ... وَهَذا فِيه أَزهدُ مِنْه فِيهِ
إِذَا غَلَبَ الشّقاءُ عَلى سفيهٍ ... تَنطّع فِي مُخالفة الفقيهِ

- قال ابن الجوزيّ: «فإن اتّسع الزّمان للتّزيّد من العلم، فليكنْ من الفقه فإنّه الأنفع».

- أنشد المبرّد، عن أبي سليمان الغنويّ:

فسلْ الفَّقيه تكنْ فقيهًا مثلَه ... لَا خَيرَ فِي علمٍ بغيرِ تَدبّر

- قال الإمام الغزاليّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الفقيه هو العالم بقانون السّياسة، وطريق التّوسّط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشّهوات، والملك والدّين توأمان، فالدّين أصل، والسّلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع، ولا يتمّ الملك والضّبط إلا بالسّلطان، وطريق الضّبط في فصل الحكومات بالفقه».

- قال أحد الحكماء: «آية العقل سرعة الفهم».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢٧)

الفطنة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يدني ابن عبّاس، فقال له عبد الرّحمن بن عوف: إنّ لنا أبناء مثله، فقال: إنّه من حيث تعلم، فسأل عمر ابن عبّاس عن هذه الآية ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]، فقال: أَجَلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه إيّاه، فقال: ما أعلم منها إلا ما تعلم. [رواه البخاري].

- عن محمّد بن سيرين قال: «كنتُ في حلقة فيها عبد الرّحمن بن أبي ليلى، وكان أصحابه يعظّمونه، فذكر آخر الأجلين، فحدّثت بحديث سُبيعة بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة، قال: فضمز لي «يعني: عض على شفتيه» بعض أصحابه، قال محمّد: ففطنت له، فقلت: إنّي إذا لجريء، إن كذبت على عبد الله بن عتبة، وهو في ناحية الكوفة، فاستحيا، وقال: لكنّ عَمَّه لم يقل ذاك، فلقيت أبا عطيّة مالك بن عامر فسألته، فذهب يحدّثني حديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئًا؟ فقال: كنّا عند عبد الله، فقال: أتجعلون عليها التّغليظ ولا تجعلون عليها الرّخصة؟ لنزلت سورة النّساء القصرى (يعني سورة الطلاق) بعد الطّولى (يعني سورة البقرة)، ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

- عن عيسى قال: سمعت الشّعبيّ يقول: «إنّما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل والنّسك، فإن كان ناسكًا ولم يكن عاقلًا قال: هذا أمر لا يناله إلا العقلاء، فلم يطلبه، وإن كان عاقلًا ولم يكن ناسكًا قال: هذا أمر لا يناله إلا النّسّاك، فلم

يطلبه، فقال الشّعبيّ: ولقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم مَنْ ليست فيه واحدة منهما، لا عقل ولا نسك».

- **من أخبار الأذكياء:** جاء رجل إلى سليمان بن داود -عليهما السّلام- وقال: يا نبيّ الله! إنّ جيرانًا يسرقون إوزّي فلا أعرف السّارق. فنادى الصّلاةُ جامعةً، ثمّ خطبهم وقال في خطبته: وإنّ أحدكم ليسرق إوزّ جاره، ثمّ يدخل المسجد والرّيشُ على رأسه، فمسح الرّجل رأسه، فقال سليمان: خذوه فهو صاحبكم.

- **ومن أخبار القاضي إياس:** أنّ رجلًا قصد الحجّ فاستودع إنسانًا مالًا، فلمّا عاد طلبه منه فجحده المستودع، فأخبر بذلك القاضي إياسًا، فقال:

أَعَلِمَ بأنّك جئتني؟ قال: لا، قال: فعد إليّ بعد يومين.

ثمّ إنّ القاضي إياسًا بعث إلى ذلك الرّجل فأحضره، ثمّ قال له: اعْلَم أنّه قد تحصّلت عندي أموال كثيرة لأيتام وغيرهم وودائع للنّاس، وإنّي مسافر سفرًا بعيدًا، وأريد أن أودعها عندك، لما بلغني من دينك وتحصين منزلك. فقال: حبًّا وكرامة، قال: فاذهب وهيِّئ موضعًا للمال، وقومًا يحملونه، فذهب الرّجل وجاء صاحب الوديعة، فقال له القاضي إياس: امض إلى صاحبك، وقل له: ادفع إليّ مالي، وإلا شكوتك للقاضي إياس، فلمّا جاء قال له ذلك، فدفع إليه ماله واعتذر إليه، فأخذه وأتى إلى القاضي إياس وأخبره، ثمّ بعد ذلك أتى الرّجل لطلب الأموال الّتي ذكرها له القاضي، فقال له القاضي بعد أن أخذ الرّجل ماله منه: امض لشأنك لا أكثر الله في النّاس من أمثالك.

- قال الأبشيهيّ: «قد يخصّ الله تعالى بألطافه الخفيّة مَنْ يشاء من عباده، فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل، وزيادة معرفة، تخرجه عن حدّ الاكتساب، ويصير بها راجحا على ذوي التّجارب والآداب».

- قال الأبشيهيّ أيضًا: «يستدلّ على رجاحة عقل الرّجل بأمور متعدّدة، **منها**: ميله إلى محاسن الأخلاق، وإعراضه عن رذائل الأعمال، ورغبته في إسداء صنائع المعروف، وتجنّبه ما يكسبه عارًا، ويورثه سوء السّمعة».

- **قال عليّ بن عبيدة**: «العقل ملك والخصال رعيّة، فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها، فسمعه أعرابيّ فقال: هذا كلام يقطر عسله».

- قيل: «مَنْ بيّضت الحوادث سواد لمّته، وأخلقت التّجارب لباس جدّته، وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته، كان جديرًا برزانة العقل ورجاحة الدّراية».

- **حدّث الشّعبيّ** قال: جاءت امرأة إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقالت: أشكو إليك خير أهل الدّنيا إلا رجلٌ سبقه بعمل أو عمل مثلَ عمله، يقوم اللّيل حتّى يصبح، ويصوم النّهار حتّى يمسي، ثمّ أخذها الحياء، فقالت: أقلني يا أمير المؤمنين، فقال: جزاك الله خيرًا، فقد أحسنت الثّناء، قد أقلتك، فلمّا ولّت، قال كعب بن سُور: يا أمير المؤمنين! لقد أبلغت إليك في الشّكوى، فقال: ما اشتكت؟ قال: زوجَها، قال: عليّ بالمرأة وزوجها، فجيء بهما.

فقال لكعب: اقض بينهما، قال: أأقضي وأنت شاهد؟ قال: إنّك قد فطنت ما لم أفطن إليه.

قال: فإنّ الله يقول: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ [النساء: ٣]، صم ثلاثة أيّام وأفطر عندها يومًا، وقم ثلاث ليال وبت عندها ليلة، فقال عمر: لهذا أعجب إليّ من الأوّل، فرَحَلَهُ بدابّة وبعثه قاضيًا.

- سرق من رجل خمسمائة دينار، فحمل المتّهمون إلى الوالي، فقال الوالي: أنا ما أضرب أحدًا منكم، بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم، فادخلوا فليمرّ كلّ منكم يده

عليه من أوّل الخيط إلى آخره، ويلفّ يده في كمّه ويخرج، فإنّ الخيط، يلفّ على يد الّذي سرق، وكان قد سوّد الخيط بسُخَامٍ، فدخلوا فكلّهم جرّ يده على الخيط في الظّلمة إلا واحدا منهم، فلمّا خرجوا نظر إلى أيديهم مسودّة إلا واحدًا، فألزمه بالمال، فأقرّ به.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢٨)

الكرم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فقد قال حكيم بن حزام رضي الله عنه :

«ما أصبحت صباحًا قطّ فرأيت بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعًا فقضيتها إلا كانت من النّعم الّتي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحًا لم أر بفنائي طالب حاجة، إلا كان ذلك من المصائب الّتي أسأل الله -عزَّ وجلَّ- الأجر عليها».

- **قال جويريةُ بن أسماءَ:** «قُطع برجل بالمدينة فقيل له: عليك بحكيم بن حزام، فأتاه وهو في المسجد فذكر له حاجته، فقام معه، فانطلق معه إلى أهله، فلمّا دخل داره رأى غلمانا له يعالجون أداة من أداة الإبل، فرمى إليهم بخرقة معه فقال: استعينوا بهذه على بعض ما تعالجون، ثمّ أمر له براحلة مقتّبة محقّبة، وزادًا».

- **قال ابن عمر** رضي الله عنهما :

«أهدي لرجل رأس شاة، فقال: إنّ أخي وعيالَه أحوج منّا إلى هذا فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتّى رجعت إلى الأوّل بعد سبعة».

- **قال أبو هريرة** رضي الله عنه : «ما احتذى النّعال، ولا انتعل، ولا ركب المطايا، ولا لبس الكور من رجل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب في الجود والكرم».

- **قال عبد الله بن جعفر** رحمه الله : «أُمْطِرُ المعروفَ مطرًا، فإن أصاب الكرامَ كانوا له أهلًا، وإن أصابَ اللّئامَ كنتُ له أهلًا».

- قال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما :

«**المروءة**: حفظ الرّجل دينه، وحذره نفسه، وحسن قيامه بضيفه، وحسن المنازعة، والإقدام في الكراهية.

والنّجدة: الذّبّ عن الجار، والصّبر في الموان.

والكرم: التّبرّع بالمعروف قبل السّؤال، والإطعام في المَحْل، والرّأفة بالسّائل مع بذل النّائل».

- قال أبو الأسود: دخل على الحسن بن عليّ رضي الله عنه نفر من أهل الكوفة وهو يأكل طعامًا فسلّموا عليه وقعدوا، فقال لهم الحسن: «الطّعام أيسر من أن يقسم عليه، فإذا دخلتم على رجل منزله فقرّب طعامه، فكلوا من طعامه، ولا تنتظروا، فتقدّم القوم فأكلوا، ثمّ سألوه حاجتهم فقضاها لهم».

- قال عبد الله بن الحارث: «من لم يكرم ضيفه فليس من محمّد صلى الله عليه وسلم ، ولا من إبراهيم عليه السلام ».

- قال السّلميّ رحمه الله :

«آداب الصّحبة على أوجه ذكر **منها**: صحبة الوالدين، فقال: تكون برّهما بالخدمة بالنّفس والمال في حياتهما، وإنجاز وعدهما بعد وفاتهما، والدّعاء لهما في كلّ الأوقات، وإكرام أصدقائهما».

- قال محمّد بن سيرين رحمه الله : «كانوا يقولون: لا تكرم صديقك بما شقّ عليه».

- قال أحمد بن عبد الأعلى الشّيبانيّ وأحمد بن عبيد العنيزيّ: «إنّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما كان في سفرٍ له فمرّ بفتيان يوقدون تحت قدر لهم، فقام إليه أحدهم فقال:

أَقُولُ لَهُ حَينَ أَلْقَيتُه ... عَلَيكَ السَّلامُ أَبَا جَعْفَرِ

فوقف، وقال: السّلام عليك ورحمة الله.

قال:

وَهــذِي ثِـيـابِـي قَـدْ أَخْـلَـقَـتْ   وَقَـــدْ عَـضّـني زَمـــنٌ مُـنـكَـرُ

قال له: فهذي ثيابي مكانها، وكان عليه جبّة خزّ وعمامة خزّ.

فقال الرّجل:

وَأَنْــتَ كَـريـمُ بَـنِي هَـاشِـمِ   وَفِي البيتِ مِنها الّـذي يُذكَر

قال له: يا ابن أخي ذلك رسول الله ﷺ.

- قال مالك بن دينار رحمه الله:

«المؤمن كريم في كلّ حالة، لا يحبّ أن يؤذي جارَه، ولا يفتقر أحدٌ من أقربائه -ويبكي وهو يقول-: وهو والله مع ذلك غنيّ القلب، لا يملك من الدّنيا شيئًا، إن أزلّته عن دينه لم يزلّ، وإن خدعته عن ماله انخدع، لا يرى الدّنيا من الآخرة عوضًا، ولا يرى البخل من الجود حظًّا، منكسر القلب ذو هموم قد تفرّد بها، مكتئب محزون ليس له في فرح الدّنيا نصيب، إن أتاه منها شيء فرّقه، وإن زوي عنه كلّ شيء فيها لم يطلبه- ويبكي ويقول-: هذا والله الكرم، هذا والله الكرم».

- قال جعفر الصّادق رحمه الله:

«لا مال أعون من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا مظاهرة كالمشاورة، ألا وإنّ الله -عزّ وجلّ- يقول: (إنّي جواد كريم، لا يجاورني لئيم) واللّؤم من الكفر، وأهل الكفر في النّار، والجود والكرم من الإيمان، وأهل الإيمان في الجنّة».

- قال عبد الرّحمن بن مهديّ رحمه الله: «ليتّق الرّجلُ دناءة الأخلاق كما يتّقي الحرام، فإنّ الكرم دين».

- قال محمّد بن يزيد الواسطيّ:

حدّثني صديق لي: «أنّ أعرابيًّا انتهى إلى قوم فقال: يا قوم! أرى وجوهًا وضيئة، وأخلاقًا رضيّة، فإن تكن الأسماء على أثر ذلك فقد سعدت بكم أمّكم، تسمّوا، بأبي أنتم، قال أحدهم: أنا عطيّة، وقال الآخر: أنا كرامة، وقال الآخر: أنا عبد الواسع، وقال الآخر: أنا فضيلة، فأنشأ يقول:

كَـرمٌ وبَـذلٌ واسـعٌ وعَـطيّـةٌ ... لا أيـنَ أذهـبُ أنـتمُ أعـيُنُ الكَّرمِ

مَـنْ كَـانَ بَـينَ فَضيلةٍ وكرامةٍ ... لا ريـبَ يَـفقـؤُ أعـيُنَ العَـدَمَ

قال: فكسوه وأحسنوا إليه وانصرف شاكرًا».

- قال أبو سليمان الدّارانيّ:

«جلساء الرّحمن يوم القيامة من جعل في قلبه خصالًا: الكرم، والسّخاء، والحلم، والرّأفة، والشّكر، والبرّ، والصّبر».

- قال الماورديّ رَحِمَهُ اللَّهُ **:**

«اعلم أنّ الكريم يُجْتَزَى بالكرامة واللّطف، واللّئيم يُجْتزى بالمهانة والعنف، فلا يجود إلا خوفًا، ولا يجيب إلا عنفًا، كما قال الشّاعر:

رَأيـتُـكَ مِـثـلَ الجَـوْزِ يَمْـنَـعُ لُبَّه ... صَحيحًا ويُعطي خيرَه حين يُكسَرُ

فاحذر أن تكون المهانة طريقًا إلى اجتدائك، والخوف سبيلًا إلى عطائك، فيجري عليك سفه الطّغام، وامتهان اللّئام، وليكن جودك كرمًا ورغبة، لا لؤمًا ورهبة».

- قال ابن تيميّة رَحِمَهُ اللَّهُ **:**

«إنّ الجميع يتمادحون بالشّجاعة والكرم، حتّى إنّ ذلك عامّة ما تمدح به الشّعراء ممدوحيهم في شعرهم، وكذلك يتذامّون بالبخل والجبن، ثمّ قال: ولمّا كان صلاح بني آدم لا يكون في دينهم ودنياهم إلا بالشّجاعة والكرم، بيّن الله سبحانه أنّه من تولّى عنه

بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به مَنْ يقوم بذلك، ومَنْ تولّى عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك. فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].

ثمّ قال رحمه الله:

«وبالشّجاعة والكرم في سبيل الله فضّل الله السّابقين، فقال: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحديد:١٠]. وقد ذكر الجهاد بالنّفس والمال في سبيله، ومدحه في غير آية من كتابه، وذلك هو الشّجاعة والسّماحة في طاعته- سبحانه- وطاعة رسوله».

- **قال ابن حجر** رحمه الله: «لا يُقال للرّجل كريم حتّى يظهر ذلك منه، ولمّا كان أكرم الأفعال ما يقصد به أشرف الوجوه، وأشرفها ما يقصد به وجه الله -تعالى-، وإنّما يحصل ذلك من المتّقي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣]، وكلّ فائق في بابه يقال له كريم».

- **قال الشّيخ محمّد بن محمّد الغزّيّ** رحمه الله: «من آداب العشرة: إيثار الإخوان بالكرامة على نفسه، ثمّ قال: قال أبو عثمان: مَنْ عاشر النّاس ولم يكرمهم، وتكبّر عليهم فذلك لقلّة رأيه وعقله، فإنّه يعادي صديقه ويكرّم عدوّه، فإنّ إخوانه في الله أصدقاؤه، ونفسه عدوّه».

- قال بعض الشّعراء:

لَيس الكَّريمُ الّذي إنْ زلّ صاحبُه بثّ الّذي كَانَ مِنْ أَسرارِه عَلمَا

إنّ الكَّريمَ الّذي تَبقى مَودّته وَيحفَظُ السّرّ إنْ صَافى وَإنْ صَرمَا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٢٩)

صلة الرحم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فقد قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «تعلّموا أنسابكم ثمّ صلوا أرحامكم، والله! إنّه ليكون بين الرّجل وبين أخيه شيء، ولو يعلم الّذي بينه وبينه من داخلة الرّحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه».

- **قال عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه: لأن أصل أخًا من إخواني بدرهم أحبّ إليّ من أن أتصدّق بعشرين درهمًا، ولأن أصله بعشرين درهمًا أحبّ إليّ من أن أتصدّق بمائة درهم، ولأن أصله بمائة درهم أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة».

- **عن عائشة** رضي الله عنها قالت:

إنّ فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النّبيّ صلى الله عليه وسلم ممّا أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، تطلب صدقة النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر.

فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا نورث ما تركنا فهو صدقة**» إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال -يعني مال الله- ليس لهم أن يزيدوا على المأكل، وإنّي والله لا أغيّر شيئًا من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها الّتي كانت عليها في عهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ولأعملنّ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فتشهّد عليّ، ثمّ قال: إنّا قد عرفنا يا أبا بكر! فضيلتك -وذكر قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقّهم-.

فتكلّم أبو بكر فقال: «والّذي نفسي بيده! لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي».

- **عن عائشة** رضي الله عنها قالت:

«لم أعقل أبويّ قطّ إلا وهما يدينان الدّين، ولم يمرّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النّهار بكرة وعشيّة، فلمّا ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا قبل الحبشة حتّى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابنُ الدَّغِنَّة، وهو سيّد القارّة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأنا أريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربّي، قال ابن الدَّغِنَّة: إنّ مثلك لا يخرج ولا يخرج، فإنّك تكسب المعدوم، وتصل الرّحم، وتحمل الكلّ، وتقري الضّيف، وتعين على نوائب الحقّ، وأنا لك جار، فارجع فاعبد ربّك ببلادك، فارتحل ابن الدَّغِنَّة فرجع مع أبي بكر فطاف في أشراف كفّار قريش فقال لهم: إنّ أبا بكر لا يَخْرُجُ مثلُه ولا يُخرَج، أتخرجون رجلًا يكسب المعدوم، ويصل الرّحم، ويحمل الكلّ، ويقري الضّيف، ويعين على نوائب الحقّ؟ فأنفذت قريش جوار ابن الدَّغِنَّة، وأمّنوا أبا بكر، وقالوا لابن الدَّغِنَّة: مر أبا بكر فليعبد ربّه في داره، فليصلّ وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنّا قد خشينا أنْ يفتن أبناءنا ونساءنا، قال ذلك ابن الدَّغِنَّة لأبي بكر، فطفق أبو بكر يعبد ربّه في داره، ولا يستعلن بالصّلاة ولا القراءة في غير داره، ثمّ بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وبرز، فكان يصلّي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصّف (يعني يجتمع) عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلًا بكّاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدَّغِنَّة، فقدم عليهم فقالوا له: إنّا كنّا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربّه في داره، وإنّه جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره، وأعلن الصّلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فأته، فإن أحبّ أن يقتصر على أن يعبد ربّه في داره فعل، وإن أبى إلا أنْ

يعلن ذلك فسله أن يردّ إليك ذمّتك، فإنّا كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرّين الاستعلان، قالت عائشة: فأتى ابن الدَّغِنَّة أبا بكر، فقال: قد علمت الّذي عقدت لك عليه، فإمّا تقتصر على ذلك، وإمّا أن تردّ إليّ ذمّتي، فإنّي لا أحبّ أن تسمع العرب أنّي أخفرت في رجل عقدت له، قال أبو بكر: فإنّي أردّ إليك جوارك وأرضى بجوار الله -ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ بمكّة-، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أريت دار هجرتكم، رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين**»، وهما الحرّتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ ورجع إلى المدينة بعض مَنْ كان هاجر إلى أرض الحبشة، وتجهّز أبو بكر مهاجرًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**على رسلك، فإنّي أرجو أن يؤذن لي**»، قال أبو بكر: هل ترجو ذلك -بأبي أنت-، قال: «**نعم**».

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السّمر أربعة أشهر» [رواه البخاري].

قال ابن أبي مليكة: غدوتُ على ابن عبّاس فقلت: أتريد أن تقاتل ابن الزّبير فتحلّ ما حرّم الله فقال: معاذ الله، إنّ الله كتب ابن الزّبير وبني أميّة محلّين وإنّي والله لا أحلّه أبدًا، قال: قال النّاس: بايع لابن الزّبير، فقلت: وأين بهذا الأمر عنه، أمّا أبوه فحواريّ النّبيّ ﷺ، -يريد الزّبير- وأمّا جدّه فصاحب الغار -يريد أبا بكر-، وأمّا أمّه فذات النّطاقين -يريد أسماء-، وأمّا خالته فأمّ المؤمنين -يريد عائشة- وأمّا عمّته فزوج النّبيّ ﷺ، -يريد خديجة-، وأمّا عمّة النّبيّ ﷺ فجدّته -يريد صفيّة-، ثمّ عفيف في الإسلام قارئ للقرآن، والله لو وصلوني وصلوني من قريب، وإن رَبَّوْنِي رَبَّوْنِي أكفاء كرام».

- **عن عروة بن الزّبير** قال: ذهب عبد الله بن الزّبير مع أناس من بني زهرة إلى عائشة: وكانت أرقّ شيء عليهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ.

ـ **قال عطاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«لدرهم أضعه في قرابتي أحبّ إليّ من ألف أضعها في فاقة، قال له قائل: يا أبا محمّد! وإن كان قرابتي مثلي في الغنى، قال: وإن كان أغنى منك».

ـ **قال سعيد بن المسيّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد ترك دنانير «اللهمّ إنّك تعلم أنّي لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي، لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه، ويصل رحمه، ويكفّ به وجهه».

ـ **قال محمّد بن عليّ بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إنّ أهل البيت ليتبارون، فينمّي الله -عزّ وجلّ- أموالهم».

ـ **قال عمرو بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«تعلمنّ أنّه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجرًا من خطوة إلى ذي الرّحم».

- قال سليمان بن موسى: «قيل لعبد الله بن محيريز: ما حقّ الرّحم؟ قال: تستقبل إذا أقبلت، وتتبع إذا أدبرت».

ـ **قال جعفر الصّادق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«مودّةُ يومٍ صلةٌ، ومودّةُ سنةٍ رحمٌ ماسّةٌ، من قطعها قطعه الله -عزّ وجلّ-».

ـ **قال المرّوذيّ**: «أدخلت على أبي عبد الله (أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ) رجلًا من الثّغر فقال: لي قرابة (بالمرغة) ترى لي أن أرجع إلى الثّغر، أو ترى أن أذهب فأسلّم على قرابتي؟ فقال له: استخر الله، واذهب فسلّم عليهم».

ـ **وقال مثنّى**، قلت له: «الرّجل يكون له القرابة من النّساء، فلا يقومون بين يديه فأيّ شيء يجب عليه من برّهم، وفي كم ينبغي أن يأتيهم؟

قال: اللّطف والسّلام».

- **وقال الفضل بن عبد الصّمد** لأبي عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «رجل له إخوة وأخوات بأرض غصب ترى أن يزورهم، قال: نعم، يزورهم ويراودهم على الخروج منها، فإن أجابوا وإلا لم يقم معهم، ولا يَدَع زيارتهم».

- **قال ابن جرير الطّبريّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «صلة الرّحم هي أداء الواجب لها من حقوق الله الّتي أوجب لها، والتّعطّف عليها بما يحقّ التّعطّف به عليها».

- **قال الطّيبيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«إنّ الله يبقي أثر واصل الرّحم طويلًا، فلا يضمحلّ سريعًا كما يضمحلّ أثر قاطع الرّحم».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٣٠)

البراءة من الكافرين

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فقد قال عمر رضي الله عنه لأبي موسى: وأمره أن يرفع إليه ما أخذ، وما أعطى في أديم واحد -وكان له كاتب نصرانيّ-، فرفع إليه ذلك فعجب عمر، وقال: إنّ هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتابًا في المسجد جاء من الشّام؟ فقال: إنّه لا يستطيع، فقال عمر: أجنب هو؟

قال: لا، بل نصرانيّ، قال: فانتهرني وضرب فخذي، ثمّ قال: أخرجوه، ثمّ قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

- **قال عبد الله بن عتبة** رضي الله عنه :

ليتّق أحدكم أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا، وهو لا يشعر قال ابن سيرين: فظنّنّاه يريد هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

- **قال ابن جرير** رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿**لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ...﴾: هذا نهي من الله -عزّ وجلّ- إلى المؤمنين أن يتّخذوا الكفّار أعوانًا وأنصارًا وظهورًا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلّونهم على عوراتهم؛ فإنّه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك، فقد برئ من الله -تعالى- وبرأ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر: ﴿**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً**﴾ يعني إلا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم

الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل.

- **قال القاضي ابن عطيّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ ...﴾ [المائدة :٥١] الآية: نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتّخاذ اليهود والنّصارى أولياء في النّصرة، والخلطة المؤدّية إلى الامتزاج والمعاضدة، وكلّ من هذين الصّنفين له حظّه من هذا المقت الّذي تضمّنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، وأمّا معاملة اليهود والنّصارى في غير مخالطة ولا ملابسة فلا تدخل في النّهي.

- **قال القرطبيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ [النساء :١٣٨-١٣٩]:

يقول الله تعالى لنبيّه محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا محمّد، بشّر المنافقين الّذين يتّخذون أهل الكفر بي، والإلحاد في ديني أولياء، يعني: أنصارًا وأخلاء من دون المؤمنين تاركين موالاة المؤمنين معرضين عنها، يطلبون عند هؤلاء الكفّار المنعة والقوّة والنّفوذ، وما علم أولئك السّفهاء البلهاء أنّ العزّة لله جميعًا.

- **قال ابن قدامة المقدسيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الأفضل لمن أكره على كلمة الكفر، أو على موالاة الكفّار والموافقة على دينهم، أن يصبر ولا يمتثل حتّى ولو أتى على نفسه.

- **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إنّ تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحبّ إلا لله، ولا يبغض إلا للهّ ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحبّ ما أحبّه الله، ويبغض ما أبغضه الله.

- **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

نهى اللهُ -تبارك وتعالى- عباده المؤمنين أنْ يوالوا الكافرين، وأن يتّخذوهم أولياء يسرّون إليهم بالمودّة من دون المؤمنين ثمّ توعّد على ذلك فقال: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ أي: ومَنْ يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله.

- وقال أيضًا عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥٧].

هذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيّين والمشركين الّذين يتّخذون أفضل ما يعمله العاملون -وهي شرائع الإسلام المطهّرة المشتملة على كلّ خير دنيويّ وأخرويّ- يتّخذونها هزوًا يستهزئون بها، ولعبًا يعتقدون أنّها نوع من اللّعب في نظرهم الفاسد.

- **قال الشّيخ عبد اللّطيف بن عبد الرّحمن بن حسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ الموالاة تنقسم إلى قسمين: موالاة مطلقة عامّة وهذه كفر صريح، وهي بهذه الصّفة مرادفة لمعنى التّولّي، وعلى ذلك تحمل الأدلّة في النّهي الشّديد عن موالاة الكفّار، وأنّ مَنْ والاهم فقد كفر. موالاة خاصّة وهي موالاة الكفّار لغرض دنيويّ مع سلامة الاعتقاد، وعدم إضمار نيّة الكفر والرّدّة، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة في إفشاء سرّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزو مكّة، كما هو مذكور في سبب نزول سورة الممتحنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٣١)

علو الهمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فعن جعفر بن عبد الله بن أسلم الهمدانيّ رضي الله عنه قال: لمّا كان يوم اليمامة كان أوّل النّاس جرح أبو عقيل الأنيفيّ رضي الله عنه، رمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده، فشطب في غير مقتل، فأخرج السّهم ووهن له شقّه الأيسر لما كان فيه، وهذا أوّل النّهار، وجرّ إلى الرّحل، فلمّا حمي القتال وانهزم المسلمون وجازوا رحالهم، وأبو عقيل واهنٌ من جرحه سمع معن بن عديّ رضي الله عنه يصيح بالأنصار: الله الله! والكرّة على عدوّكم، وأعنق معن يقدم القوم، وذلك حين صاحت الأنصار: أخلصونا، أخلصونا، فأخلصوا رجلًا رجلًا يميّزون.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد يا أبا عقيل، ما فيك قتال؟!، قال: قد نوّه المنادي باسمي، قال ابن عمر: فقلت: إنّما يقول: يا للأنصار، لا يعني الجرحى!! قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حبوًا! قال ابن عمر: فتحزّم أبو عقيل وأخذ السّيف بيده اليمنى مجرّدًا، ثمّ جعل ينادي: يا للأنصار، كرّة كيوم حنين، فاجتمعوا -رحمهم الله جميعًا- يقدمون المسلمين دربة دون عدوّهم، حتّى أقحموا عدوّهم الحديقة، فاختلطوا واختلفت السّيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب، فوقعت على الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلّها قد خلصت إلى مقتل، وقتل عدوّ الله مسيلمة، قال ابن عمر: فوقعت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: أبا عقيل،

فقال: لبّيك. بلسان ملتاث لمن الدّبرة؟، قلت: أبشر، ورفعت صوتي: قد قتل عدوّ الله، فرفع أصبعه إلى السّماء يحمد الله، ومات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال ابن عمر: فأخبرت عمر بعد أن قدمت خبره كلّه، فقال: رحمه الله، ما زال يسأل الشّهادة ويطلبها، وإن كان ما علمت من خيار أصحاب نبيّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقديم إسلام.

- **عن ابن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : أنّ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال يوم أحد لأخيه: خذ الدّرع يا أخي، قال: أريد من الشّهادة مثل الّذي تريد، فتركاها جميعا.

- **روي عن عمر بن الخطّاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «لا تصغرنّ هممكم، فإنّي لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم».

- **عن زيد بن أسلم عن أبيه**، قال:

خرجت مع عمر بن الخطّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى السّوق، فلحقت عمر امرأة شابّة، فقالت: يا أمير المؤمنين! هلك زوجي وترك صبية صغارًا، والله ما ينضجون كراعًا، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضّبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاريّ، وقد شهد أبي الحديبية مع النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فوقف معها عمر ولم يمض، ثمّ قال: مرحبًا بنسب قريب، ثمّ انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدّار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا وحمل بينهما نفقة وثيابًا، ثمّ ناولها بخطامه، ثمّ قال:

اقتاديه، فلن يفنى حتّى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أمّك، والله! إنّي لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه ثمّ أصبحنا نستفيء سهماننا منه.

- كان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمّة، قيل له في مرضه: إنّ المريض يستريح إلى الأنين وإلى شرح ما به إلى الطّبيب، فقال: أمّا الأنين فهو جزع وعار، والله لا

يسمع الله منّي أنينا فأكون عنده جزوعًا، وأمّا وصف ما بي إلى الطّبيب، فو الله! لا يحكم غير الله في نفسي إن شاء أمسكها وإن شاء قبضها.

- **عن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير** رضي الله عنهما قال: حدّثني أبي الّذي أرضعني وكان أحد بني مرّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة (غزوة مؤتة)، قال: والله لكأنّي أنظر إلى جعفر رضي الله عنه حين اقتحم عن فرس له شقراء ثمّ عقرها، ثمّ قاتل القوم حتّى قتل، وهو يقول:

يَا حَبّذا الجَنّةَ واقترابُهَا ... طيّبةُ وَبَاردُ شَرابُهَا

والرّومُ رومُ قَدْ دَنا عَذابُها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُهَا

عَليّ إذ لَاقيتُهَا ضُرابُهَا

- **قال سعيد بن العاص:** «ما شاتمت رجلًا مذ كنت رجلًا، لأنّي لم أشاتم إلا أحد رجلين: إمّا كريم فأنا أحقّ أن أجلّه، وإمّا لئيم فأنا أولى أن أرفع نفسي عنه».

- **قال الحافظ أبو بكر عبد الله بن الإمام الحافظ أبي داود السّجستانيّ**، المولود سنة (٣٠٣ هـ). قال: دخلتُ الكوفة ومعي درهم واحد فاشتريت به ثلاثين مدّا باقلاء، فكنت آكل منه وأكتب عن الأشجّ عبد الله بن سعيد الكنديّ محدّث الكوفة، فما فرغ الباقلاء حتّى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث ما بين مقطوع ومرسل.

- **حكى القاضي يحيى بن أكثم** -رحمة الله عليه- قال: دخلتُ يومًا على الخليفة هارون الرّشيد ولد المهديّ، وهو مطرق مفكّر، فقال لي: أتعرف قائل هذا البيت:

الخير أبقى وإن طال الزّمان به... والشّرّ أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت: يا أمير المؤمنين! إنّ لهذا البيت شأنًا مع قائله، فقال الرّشيد: عليّ به، فلمّا حضر بين يديه، قال له: أخبرني عن قضيّة هذا البيت، فقال: يا أمير المؤمنين! كنت في بعض السّنين حاجًّا، فلمّا توسّطت البادية في يوم شديد الحرّ سمعت ضجّة عظيمة في

القافلة ألحقت أوّلها بآخرها، فسألت عن القصّة فقال لي رجل من القوم: تقدّم تر ما بالنّاس، فتقدّمت إلى القافلة فإذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع، وهو يخور كما يخور الثّور، ويرغو كرغاء البعير، فهالني أمره، وبقيت لا أهتدي إلى ما أصنع في أمره، فعدلنا عن طريقه إلى ناحية أخرى فعارضنا ثانيًا، فعلمت أنّه لسبب، ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه، فقلت:

أفدي هذا العالم بنفسي، وأتقرّب إلى الله -تعالى- بخلاص هذه القافلة من هذا، فأخذت قربة من الماء فتقلّدتها، وسللت سيفي، وتقدّمت فلمّا رآني قربت منه سكن، وبقيت متوقّعا منه وثبة يبتلعني فيها، فلمّا رأى القربة فتح فاه، فجعلت فم القربة فيه وصببت الماء كما يصبّ في الإناء، فلمّا فرغت القربة تسيّب في الرّمل ومضى، فتعجّبت من تعرّضه لنا وانصرافه عنّا من غير سوء لحقنا منه، ومضينا لحجّنا، ثمّ عدنا في طريقنا ذلك، وحططنا في منزلنا ذلك في ليلة مظلمة مدلهمّة فأخذت شيئًا من الماء، وعدلت إلى ناحية عن الطّريق فقضيت حاجتي ثمّ توضّأت وصلّيت وجلست أذكر الله تعالى.

- **قال مالك بن عمارة اللّخميّ:** كنتُ جالسًا في ظلّ الكعبة أيّام الموسم عند عبد الملك ابن مروان وقبيصة بن ذؤيب، وعروة بن الزّبير، وكنّا نخوض في الفقه مرّة، وفي المذاكرة مرّة، وفي أشعار العرب وأمثال النّاس مرّة، فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتّساع في المعرفة، والتّصرّف في فنون العلم، وحسن استماعه إذا حدّث، وحلاوة لفظه إذا حدّث، فخلوت معه ليلة فقلت له، والله إنّي لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرّفك وحسن حديثك، وإقبالك على جليسك، فقال: إن تعش قليلًا فسترى العيون طامحة إليّ والأعناق نحوي متطاولة، فإذا صار الأمر إليّ فلعلّك أن تنقل إليّ ركابك، فلأملأنّ يديك، فلمّا أفضت إليه الخلافة توجّهت إليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر، فلمّا رآني أعرض عنّي فقلت: لعلّه لم يعرفني، أو عرفني وأظهر لي نكرة، فلمّا قضيت الصّلاة ودخل بيته لم ألبث أن خرج الحاجب، فقال: أين مالك بن

عمارة؟ فقمت فأخذ بيدي وأدخلني عليه فمدّ إليّ يده وقال: إنّك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه إلا ما رأيت، فأمّا الآن فمرحبًا، وأهلًا، كيف كنت بعدي، فأخبرته، فقال لي: أتذكر ما كنت قلت لك؟ قلت: نعم، فقال:

والله ما هو بميراث وعيناه، ولا أثر رويناه، ولكنّي أخبرك بخصال منّي سمت بها نفسي إلى الموضع الّذي ترى، ما خنت ذا ودّ قطّ، ولا شمتُّ بمصيبة عدوّ قطّ، ولا أعرضت عن محدّث حتّى ينتهي حديثه، ولا قصدت كبيرة من محارم الله -تعالى- متلذّذًا بها، فكنت أؤمّل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتي، وقد فعل.

ثمّ دعا بغلام له، فقال: يا غلام! بوّئه منزلًا في الدّار، فأخذ الغلام بيدي، وأفرد لي منزلا حسنا، فكنت في ألذّ حال وأنعم بال، وكان يسمع كلامي، وأسمع كلامه، ثمّ أدخل عليه في وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتي، ويقبل عليّ ويحادثني، ويسألني مرّة عن العراق، ومرّة عن الحجاز، حتّى مضت عشرون ليلة.

فتغدّيت يومًا عنده، فلمّا تفرّق النّاس نهضت قائمًا، فقال: على رسلك، فقعدت، فقال: أيّ الأمرين أحبّ إليك: المقام عندي مع النّصفة لك في المعاشرة، أو الرّجوع إلى أهلك ولك الكرامة؟ فقلت: يا أمير المؤمنين! فارقت أهلي وولدي على أنّي أزور أمير المؤمنين، وأعود إليهم فإن أمرني أمير المؤمنين اخترت رؤيته على الأهل والولد، فقال: لا بل أرى لك الرّجوع إليهم، والخيار لك بعد في زيارتنا، وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار كسوة، وحملناك، أتراني قد ملأت يديك؟ فلا خير فيمن ينسى إذا وعد وعدا، وزرنا إذا شئت، صحبتك السّلامة.

- **قال ابن الجوزيّ**: تأمّلت أحوال النّاس في حالة علوّ شأنهم، فرأيت أكثر الخلق تبين حسراتهم حينئذٍ، فمنهم مَنْ بالغ في المعاصي من الشّباب، ومنهم مَنْ فرّط في اكتساب العلم، ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللّذات.

فكلّهم نادم في حالة الكبر حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت، أو قوى ضعفت، أو فضيلة فاتت، فيمضي زمان الكبر في حسرات، فإن كانت للشّيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت، قال:

وا أسفاه على ما جنيت؟ وإن لم يكن له إفاقة صار متأسّفًا على فوات ما كان يلتذّ به.

فأمّا من أنفق عصر الشّباب في العلم فإنّه في زمن الشّيخوخة يحمد جنيَ ما غرس ويلتذّ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذّات البدن شيئًا، بالإضافة إلى ما يناله من لذّات العلم.

هذا مع وجود لذّاته في الطّلب الّذي كان يأمل به إدراك المطلوب، وربّما كانت تلك الأعمال أطيب ممّا نيل منها، كما قال الشّاعر:

أَهـتـزّ عَـنـدَ تَمـنّي وَصلـهـا طَـربًـا وَرُبّ أُمـنـيّـة أَحـلَـى مِـنْ الظّفرِ

ولقد تأمّلت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الّذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدّنيا، وأنفقت زمن الصّبوة والشّباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني ممّا نالوه إلا ما لو حصل لي ندمت عليه، ثمّ تأمّلت حالي فإذا عيشي في الدّنيا أجود من عيشهم، وجاهي بين النّاس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم، فقال لي إبليس: ونسيت تعبك وسهرك، فقلت له: أيّها الجاهل! تقطيع الأيدي لا وقع له عند رؤية يوسف، وما طالت طريق أدّت إلى صديق:

جَــزَى اللهُ المَـسِـيرَ إِلـيـه خَـيرًا وَإنْ تَــرك المَـطـايَـا كَـالمَـزادِ

ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشّدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصّبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلّما أكلت لقمة

شربت عليها، وعين همّتي لا ترى إلا لذّة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أنّي عرفت بكثرة سماعي لحديث الرّسول ﷺ وأحواله وآدابه، وأحوال أصحابه وتابعيهم -رضي الله عنهم أجمعين-.

- **قال الفضل وهو ابن زياد:**

سمعت أبا عبد الله، يقول: ليس تضمّ إلى معمر أحدًا إلا وجدته فوقه، رحل في الحديث إلى اليمن وهو أوّل من رحل، فقال له أبو جعفر: والشّام؟، فقال: لا، الجزيرة.

- **قال مكحول الدّمشقيّ الإمام:** كنت عبدًا بمصر لامرأة من بني هذيل فأعتقتني، فما خرجت من مصر وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثمّ أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثمّ أتيت العراق فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثمّ أتيت الشّام فغربلتها، كلّ ذلك أسأل عن النّفل، فلم أجد أحدا يخبرني فيه بشيء حتّى أتيت شيخًا يُقال له: زياد بن جارية التّميميّ فقلت له: هل سمعت في النّفل شيئًا؟ قال: نعم سمعت حبيب بن مسلمة الفهريّ يقول: شهدت النّبيّ ﷺ نفّل الرّبع في البدأة والثّلث في الرّجعة.

- **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: «والّذي لا إله غيره! لقد قرأت من فيّ رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله منّي تبلّغني الإبل إليه لأتيته».

- **قال مسروق:** قال عبد الله: «ما أُنزلت آية إلا وأنا أعلم فيما أنزلت، ولو أنّي أعلم أنّ أحدًا أعلم بكتاب الله منّي تبلغه الإبل والمطايا لأتيته».

- كان الإمام البخاريّ يقوم في اللّيلة الواحدة ما يقرب من عشرين مرّة لتدوين حديث أو فكرة طرأت عليه، كما أنّه من أعظم الرّماة، ما كان سهمه يخطأ الهدف إلا نادرًا.

- **وفي ترجمة الإمام الطّبرانيّ:** هو الحافظ العلامة أبو القاسم سليمان بن أحمد اللّخميّ الشّاميّ الطّبرانيّ مسند الدّنيا، زادت مؤلّفاته عن خمسة وسبعين مؤلّفًا، سئل الطّبرانيّ عن كثرة حديثه، فقال: كنت أنام على الحصير ثلاثين سنة.

- **قال الإمام أحمد بن حنبل:** رحلت في طلب العلم والسُّنّة إلى الثّغور والشّامات، والسّواحل والمغرب والجزائر، ومكّة والمدينة، والحجاز واليمن والعراقين جميعًا، وفارس وخراسان والجبال والأطراف ثمّ عدت إلى بغداد.

وقال: حججت خمس حجج منها ثلاث حجج راجلًا -ولا يغيب عنك أنّ بلده بغداد- أنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهمًا.

وقال الإمام ابن الجوزيّ: طاف الإمام أحمد بن حنبل الدّنيا مرّتين حتّى جمع المسند.

- **قال أبو عبد الله الحاكم النّيسابوريّ** في كتابه «معرفة علوم الحديث» وهو يذكر فضل أصحاب الحديث وطلابه: هم قوم سلكوا محجّة الصّالحين، واتّبعوا آثار السّلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله ﷺ . قوم آثروا قطع المفاوز والقفار على التّنعّم في الدّمن والأوكار، وتنعّموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة أهل العلم والأخبار، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطمار.

جعلوا المساجد بيوتهم، وأساطينها تكاهم، وبواريها فرشهم، نبذوا الدّنيا بأسرها وراءهم، وجعلوا غذاءهم الكتابة وسمرهم المعارضة (أي مقابلة الكتاب الّذي كتبوه بالكتاب الّذي سمعوه أو نقلوا منه) واسترواحهم المذاكرة، وخلوقهم المداد، ونومهم السّهاد، واصطلاءهم الضّياء، وتوسّدهم الحصى.

فالشّدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء، ووجود الرّخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس، فعقولهم بلذاذة السّنّة غامرة، وقلوبهم بالرّضاء في الأحوال عامرة، تعلّم

السّنن سرورهم، ومجالس العلم حبورهم، وأهل السّنّة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم.

- قال أبو مسعود عبد الرّحيم الحاجيّ:

سمعتُ ابن طاهر يقول: بلت الدّم في طلب الحديث مرّتين، مرّة ببغداد ومرّة بمكّة، كنت أمشي حافيًا في الحرّ فلحقني ذلك، وما ركبت دابّة قطّ في طلب الحديث، وكنت أحمل كتبي على ظهري.

- في كتاب للهند: مَنْ لم يركب الأهوال لم ينل الرّغائب، ومَنْ ترك الأمر الّذي لعلّه ينال منه حاجته مخافة ما لعلّه يوقّاه فليس ببالغ جسيمًا، وإنّ الرّجل ذا المروءة ليكون خامل الذّكر خافض المنزلة، فتأبى مروءته إلا أن يستعلي ويرتفع، كالشّعلة من النّار الّتي يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعًا.

- كان أسباب فتح المعتصم عمّوريّة: أنّ امرأة من الثّغر سبيت، فنادت وا محمّداه... وا معتصماه! فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش، فلمّا فتحها قال: لبّيك أيّتها المنادية.

– قيل لبعض الحكماء: ما أصعب شيء على الإنسان؟ قال: أن يعرف نفسه ويكتم الأسرار، فإذا اجتمع الأمران، واقترن بشرف النّفس علوّ الهمّة، كان الفضل بهما ظاهرًا، والأدب بهما وافرًا، ومشاقّ الحمد بينهما مسهّلة، وشروط المروءة بينهما متينة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٣٢)

الطاعة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فقد قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه :

«لا تصحب الفجّار، لتعلّم من فجورهم، واعتزل عدوّك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا مَنْ خشي الله، وتخشّع عند القبور، وذلّ عند الطّاعة، واستعصم عند المعصية، واستشر الّذين يخشون الله»

- **عن عمر بن الخطّاب** رضي الله عنه في وصيّته بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث، وفيه: قال: «إنّي لا أعلم أحدًا أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النّفر الّذين توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة فاسمعوا له وأطيعوا. فسمّى عثمان، وعليًّا، وطلحة، والزّبير، وعبد الرّحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص... الحديث».

- **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه : «إنّ معاذ بن جبل رضي الله عنه كان أمّة قانتًا لله حنيفًا، فقيل: إنّ إبراهيم كان أمّةً قانتًا لله حنيفًا، فقال: ما نسيت، هل تدري ما الأمّة؟ وما القانت؟ فقلت: الله أعلم، فقال: الأمّة؟ الّذي يعلّم الخير، والقانت المطيع للهّ وللرّسول، وكان معاذ يعلّم النّاس الخير، ومطيعًا لله ولرسوله».

- **كتب أبو الدّرداء إلى سلمة بن مخلد:**

«أمّا بعد، فإنّ العبد إذا عمل بطاعة الله أحبّه الله، وإذا أحبّه الله حبّبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فإذا أبغضه بغّضه إلى خلقه».

- **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال: «أن يُطَاع فلا يعصى، ويُذكر فلا ينسى».

- **عن عبد الله بن سلمة** قال: قال رجل لمعاذ بن جبل: علّمني، قال: وهل أنت مطيعي؟ قال: إنّي على طاعتك لحريص، قال: صم وأفطر، وصلّ ونم، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتنّ إلا وأنت مسلم، وإيّاك ودعوة المظلوم.

- **عن ابن عمر** رضي الله عنهما أنّه كان إذا تلا هذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] قال: بلى يا ربّ، بلى يا ربّ.

- **عن خالد بن أسلم** -مولى عمر بن الخطّاب- قال: خرجتُ مع عبد الله بن عمر، فلحقه أعرابيّ، فقال له: قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال له ابن عمر: مَنْ كنزها فلم يؤّد زكاتها فويل له، إنّما كان هذا قبل أن تنزل الزّكاة. فلمّا أنزلت جعلها الله طهورًا للأموال، ثمّ التفت فقال: ما أبالي لو كان لي أُحُد ذهبًا، أعلم عدده وأزكّيه، وأعمل فيه بطاعة الله -عزَّ وجلَّ-.

- **عن سعيد بن المسيّب** رحمه الله قال: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من امريء مسلم شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملًا، ومَنْ عرّض نفسه للتّهم فلا يلومنّ إلا نفسه، ومَنْ كتم سرّه كانت الخيرة في يده، وما كافيت مَنْ عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه.

- **قال الحسن البصريّ** رحمه الله: «عملوا للهّ بالطّاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن تردّ عليهم، إنّ المؤمن جمع إيمانًا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنًا».

- سُئِلَ الحسن البصريّ ما برّ الوالدين؟ قال: أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمراك به، إلا أن يكون معصية.

- قال بعض السّلف: لمّا قدم سليمان بن عبد الملك المدينة المنوّرة، وهو يريد مكّة المكرّمة أرسل إلى أبي حازم فدعاه، فلمّا دخل عليه، قال له سليمان: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنّكم خرّبتم آخرتكم وعمّرتم الدّنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: أيّ المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله، ودعا النّاس إليها.

قال: فأيّ المؤمنين أخسر؟ قال: رجل أخطأ في هوى أخيه وهو ظالم، فباع آخرته بدنيا غيره.

قال سليمان: ماذا تقول فيما نحن فيه؟ قال: أو تعفيني؟ قال: لا. ولكن نصيحة تلقيها إليّ، قال: يا أمير المؤمنين! إنّ آباءك قهروا النّاس بالسّيف، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين، ولا رضا منهم حتّى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا، وما قيل لهم؟.

فقال له رجل من جلسائه: بئسما قلت. قال أبو حازم. إنّ الله -تبارك وتعالى- قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيّننّه للنّاس ولا يكتمونه.

قال: فكيف لنا نصلح هذا الفساد، فقال: أن تأخذه من حلّه فتضعه في حقّه.

فقال سليمان: ومَنْ يقدر عليه؟ قال: مَنْ يطلب الجنّة ويخاف النّار.

فقال: ادع لي، قال أبو حازم: اللهمّ إن كان سليمان وليّك فيسّر له خير الدّنيا والآخرة، وإن كان عدوّك فخذ بناصيته إلى ما تحبّ وترضى.

فقال سليمان: أوصني، قال: عظّم ربّك ونزّهه أن يراك حيث ينهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

- **عن الزّهريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إنَّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ قال: استقاموا والله! لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثّعالب.

- قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَيَضمنُ لِي فَتَى تَركَ المعاصِي ... وَأَرهنهُ الكَفَالَةَ بِالخلاصِ

أَطَاعَ الله قومُ فَاسْتَرَاحُوا ... وَلَمْ يَتجرّعُوا غُصصَ المَعَاصِي

- **قال أبو البختريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لوددتُ أنَّ الله تعالى يُطاع، وأنّي عبد مملوك».

- **عن عبد الله بن المبارك**، في ذكر شروط التّوبة، قال: «النّدم، والعزم على عدم العود، وردّ المظلمة، وأداء ما ضيّع من الفرائض، وأنْ يعمد إلى البدن الّذي ربّاه بالسّحت، فيذيبه بالهمّ والحزن حتّى ينشأ له لحم طيّب، وأن يذيق نفسه ألم الطّاعة، كما أذاقها لذّة المعصية».

- **قال طلق بن حبيب**: «التّقوى عمل بطاعة الله، رجاء رحمة الله، على نور من الله، والتّقوى ترك معصية الله، مخافة عقاب الله، على نور من الله».

- **قال مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ: بلغني أنّ عمر بن الخطّاب قال: إنّي لأضطجع على فراشي فما يأتيني النّوم، وأقوم إلى الصّلاة، فما تتوجّه إليّ القراءة من اهتمامي بأمر النّاس، قال مالك: يريد أن يُطاع الله ولا يعصى الله.

- **سُئِلَ أبو حمزة الشّيبانيّ** عن الإخوان في الله -عزَّ وجلَّ- فقال: «المتعاونون على أمر الله -عزّ وجلّ- وإن تفرّقت دورهم وأبدانهم»

- **قال ابن القيّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أعجب الأشياء أن تعرفه ثمّ لا تحبّه، وأن تسمع داعيه ثمّ تتأخّر عن الإجابة، وأنْ تعرف قدر الرّبح في معاملته ثمّ تعامل غيره، وأنْ تعرف قدر غضبه ثمّ تتعرّض له، وأنْ تذوق ألم الوحشة في معصيته ثمّ لا تطلب الأنس بطاعته، وأنْ تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه، ثمّ لا تشتاق إلى انشراح الصّدر بذكره ومناجاته، وأنْ تذوق العذاب عند تعلّق القلب بغيره، ولا تهرب منه إلى نُعمى الإقبال عليه والإنابة إليه».

- **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: «إذا علقت شروش المعرفة في أرض القلب نبتت فيه شجرة المحبّة، فإذا تمكّنت وقويت أثمرت الطّاعة، فلا تزال الشّجرة تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها».

- **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مثال تولّد الطّاعة ونموّها وتزايدها كمثل نواة غرستها فصارت شجرة ثمّ أثمرتْ فأكلتْ ثمرها، وغرست نواها فكلّما أثمر منها شيء جنيت ثمره وغرست نواه، وكذلك تداعي المعاصي، فليتدبّر اللّبيب هذا المثال».

- **قال ابن القيّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال أكثر المفسّرين في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦] أي: لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والدّعاء إلى غير طاعة الله، بعد إصلاح الله لها ببعث الرّسل، وبيان الشّريعة، والدّعاء إلى طاعة الله، فإنّ عبادة غير الله والدّعوة إلى غيره والشّرك به، هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنّما هو بالشّرك به ومخالفة أمره، فالشّرك والدّعوة إلى غير الله، وإقامة معبود غيره ومطاع متّبع غير رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع، والدّعوة له لا لغيره والطّاعة والاتّباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنّما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة، ومَنْ تدبّر أحوال العالم وَجَدَ

كلّ صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكلّ شرّ في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدوّ وغير ذلك فسببه: مخالفة رسوله، والدّعوة إلى غير الله ورسوله».

- **قال ابن ضبارة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنّا نظرنا فوجدنا الصّبر على طاعة الله تعالى أهون من الصّبر على عذاب الله تعالى».

- قال الشّاعر:

إِذَا كُنتَ فِي نَعمةٍ فَارعِهَا ... فَإنّ الذّنوبَ تُزيل النّعم
وَحَطهَا بِطاعةِ رَبّ العِبَا ... دِ فرُبّ العِبَاد سَرِيعُ النّقم
وَإِيّاكَ والظّلم مَهمَا استطعـ ... ـتْ فظلمُ العِبَاد شديدُ الوخم
وَسافر بِقلبكَ بَينَ الورى ... لتُبصِر آثارَ مَنْ قَدْ ظُلِمَ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباقة (٣٣)

الحكمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «كونوا ربّانيّين حكماء فقهاء».

من حكم ابن مسعود رضي الله عنه: «ينبغي لحامل القرآن، أن يكون باكيًا محزونًا، حكيمًا حليمًا سكينًا».

- **قال معاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنهما: «لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة».

- **عن عون بن عبد الله**؛ قال: قال عبد الله: «نعم المجلس مجلس ينشر فيه الحكمة، وترجى فيه الرّحمة».

- **عن شرحبيل بن شريك**: أنّه سمع أبا عبد الرّحمن الحبليّ يقول: «ليس هديّة أفضل من كلمة حكمة تهديها لأخيك».

- **عن كعب**، قال: «عليكم بالقرآن، فإنّه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث كتب الرّحمن عهدًا، وقال في التّوراة: يا محمّد! إنّي منزّل عليك توراة حديثة، تفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا».

- **عن وهب بن منبّه** قال: «أجمعت الأطبّاء على أنَّ رأس الطّبّ الحمية، وأجمعت الحكماء أنَّ رأس الحكمة الصّمت».

- **عن الضّحّاك بن موسى** قال: مرّ سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكّة، فأقام بها أيّاما، فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحدًا من أصحاب النّبيّ ﷺ ؟

فقالوا له: أبو حازم، فأرسل إليه، فلمّا دخل عليه قال له: يا أبا حازم! ما هذا الجفاء؟ قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين! وأيّ جفاء رأيت منّي؟ قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني.

قال: يا أمير المؤمنين! أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفتني قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيتك.

قال: فالتفت سليمان إلى محمّد بن شهاب الزّهريّ، فقال: أصاب الشّيخ وأخطأت، قال سليمان: يا أبا حازم! ما لنا نكره الموت؟

قال: لأنّكم أخربتم الآخرة وعمّرتم الدّنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: أصبت يا أبا حازم! فكيف القدوم غدا على الله؟

قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأمّا المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

فبكى سليمان، وقال: ليت شعري ما لنا عند الله؟.

قال: اعرض عملك على كتاب الله، قال: وأيّ مكان أجده؟

قال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣- ١٤].

قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟

قال أبو حازم: رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

قال له سليمان: يا أبا حازم! فأيّ عباد الله أكرم؟

قال: أولو المروءة والنّهى.

قال له سليمان: فأيّ الدّعاء أسمع؟

قال أبو حازم: دعاء المحسَن إليه للمحسِن.

قال: فأيّ الصّدقة أفضل؟

قال: للسّائل البائس، وجهد المقلّ، ليس فيها منّ ولا أذى.

قال: فأيّ القول أعدل؟

قال: قول الحقّ عند مَنْ تخافه أو ترجوه.

قال: فأيّ المؤمنين أكيس؟

قال: رجل عمل بطاعة الله، ودلّ النّاس عليها.

قال: فأيّ المؤمنين أحمق؟

قال: رجل انحطّ في هوى أخيه وهو ظالم، فباع آخرته بدنيا غيره.

قال له سليمان: أصبت، فما تقول فيما نحن فيه؟

قال: يا أمير المؤمنين! إنّ آباءك قهروا النّاس بالسّيف، وأخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضا لهم، حتّى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، فقد ارتحلوا عنها، فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم.

فقال له رجل من جلسائه: بئس ما قلت يا أبا حازم!

قال أبو حازم: كذبت؛ إنّ الله أخذ ميثاق العلماء ليبيّننّه للنّاس ولا يكتمونه.

قال له سليمان: فكيف لنا أن نصلح؟

قال: تدعون الصّلف، وتمسكون بالمروءة، وتقسمون بالسّويّة.

قال له سليمان: كيف لنا بالمأخذ به؟

قال أبو حازم: تأخذه من حلّه، وتضعه في أهله.

قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم! أن تصحبنا فتصيب منّا ونصيب منك؟ قال: أعوذ بالله.

قال له سليمان: ولم ذاك؟

قال: أخشى أن أركن إليكم شيئًا قليلًا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات.

قال له سليمان: ارفع إلينا حوائجك.

قال: تنجّيني من النّار وتدخلني الجنّة؟

قال سليمان: ليس ذاك إليّ.

قال أبو حازم: فمالي إليك حاجة غيرها.

قال: فادع لي.

قال أبو حازم: اللهمّ إن كان سليمان وليّك فيسّره لخير الدّنيا والآخرة، وإن كان عدوّك فخذ بناصيته إلى ما تحبّ وترضى.

قال له سليمان: قَطُّ.

قال أبو حازم: قد أوجزت وأكثرت إن كنتَ من أهله، وإن لم تكن من أهله فما ينفعني أن أرمي عن قوس ليس لها وتر.

قال له سليمان: أوصني.

قال: سأوصيك وأُوجِزُ، عظّم ربّك، ونزّهه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

فلمّا خرج من عنده بعث إليه بمائة دينار وكتب إليه: أن أنفقها ولك عندي مثلها كثير.

قال: فردّها عليه، وكتب إليه: يا أمير المؤمنين! أعيذك بالله أن يكون سؤالك إيّاي هزلا أو ردّي عليك بذلًا، وما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي؟!

وكتب إليه: أنّ موسى بن عمران: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾، وذلك أنّه: كان جائعًا خائفًا لا يأمن، فسأل ربّه ولم يسأل النّاس، فلم يفطن الرّعاء وفطنت الجاريتان، فلمّا رجعتا إلى أبيهما أخبرتاه بالقصّة وبقوله، فقال أبوهما وهو شعيب: هذا رجل جائع، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه، فلمّا أتته عظّمته وغطّت وجهها وقالت: ﴿ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾، فشقّ على موسى حين ذكرت أجر ما سقيت لنا، ولم يجد بدًّا من أن يتبعها، إنّه كان بين الجبال جائعًا مستوحشًا، فلمّا تبعها هبّت الرّيح، فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها، فتصف له عجيزتها، وكانت ذات عجز، وجعل موسى يعرض مرّة، ويغضّ أخرى، فلمّا عيل صبره ناداها يا أمة الله! كوني خلفي، وأريني السّمْتَ بقولك ذا، فلمّا دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيّأ، فقال له شعيب: اجلس يا شابّ فتعشّ، فقال له موسى: أعوذ بالله، فقال له شعيب لِمَ؟ أما أنت جائع؟ قال: بلى، ولكنّي أخاف أن يكون هذا عوضًا لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئًا من ديننا بملء الأرض ذهبا، فقال له شعيب: يا شابّ! ولكنّها عادتي وعادة آبائي، نقري الضّيف، ونطعم الطّعام، فجلس موسى فأكل، فإن كانت هذه المائة دينار عوضًا لما حدّثت، فالميتة والدّم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحلّ من هذه، وإن كانت لحقٍّ في بيت المال فلي فيها نظراء؛ فإن ساويت بيننا، وإلا فليس لي فيها حاجة.

- **عن السّكن بن عمير**؛ قال: سمعتُ وهب بن منبّه يقول: «يا بنيّ! عليك بالحكمة، فإنّ الخير في الحكمة كلّها، وتشرّف الصّغير على الكبير، والعبد على الحرّ، وتزيد السّيّد سؤددًا، وتجلس الفقير مجالس الملوك».

- **عن كثير بن مرّة**، قال: «لا تُحَدِّثِ الباطلَ للحكماء فيمقتوك، ولا تحدّث الحكمة للسّفهاء فيكذّبوك، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل، إنّ عليك في علمك حقًّا، كما أنَّ عليك في مالك حقًّا».

- **عن ثابت بن عجلان الأنصاريّ**؛ قال: «كان يُقال: إنَّ الله ليريد العذاب بأهل الأرض، فإذا سمع تعليم الصّبيان الحكمة صرف ذلك عنهم»، قال مروان: يعني بالحكمة القرآن.

- **أخرج ابن باكويه**، عن أحمد بن خالد، عن أبيه؛ قال: «أدنى نفع الصّمت السّلامة، وأدنى ضرر المنطق النّدامة، والصّمت عمّا لا يعني من أبلغ الحكم».

- **عن ابن شهاب**؛ أنّ أبا إدريس الخولانيّ عائذَ الله أخبره، أنّ يزيد بن عميرة، وكان من أصحاب معاذ بن جبل أخبره قال: «كان لا يجلس مجلسًا للذّكر حين يجلس إلا قال: الله حكم قسط، هلك المرتابون، فقال معاذ بن جبل يومًا: إنّ من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتّى يأخذه المؤمن والمنافق، والرّجل والمرأة والصّغير والكبير، والعبد والحرّ، فيوشك قائل أن يقول: ما للنّاس لا يتّبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتّبعيّ حتّى أبتدع لهم غيره، فإيّاكم وما ابتدع؛ فإنّ ما ابتدع ضلالة، وأحذّركم زيغة الحكيم، فإنّ الشّيطان قد يقول كلمة الضّلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحقّ، قال: قلت لمعاذ: ما يدريني -رحمك الله- أنّ الحكيم قد يقول كلمة الضّلالة، وأنّ المنافق قد يقول كلمة الحقّ؟ قال: بلى، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات الّتي يُقال لها: ما هذه؟ ولا يثنينّك ذلك عنه؛ فإنّه لعلّه أن يراجع، وتلقّ الحقّ إذا سمعته فإنّ على الحقّ

نورا، وقال ابن إسحاق: عن الزّهريّ قال: بلى، ما تشابه عليك من قول الحكيم حتّى تقول ما أراد بهذه الحكمة».

- **عن عمر بن عبد العزيز**؛ قال: «إذا رأيتم الرّجل يُطيل الصّمت، ويهرب من النّاس، فاقتربوا منه فإنّه يلقي الحكمة».

- **عن عبد الله بن محمّد بن شيبة**: حدّثنا مروان بن معاوية، عن عون، عن ابن عبّاس العمّيّ؛ قال: «بلغني أنّ داود النّبيّ ﷺ، كان يقول في دعائه: سبحانك اللهمّ أنت ربّي تعاليت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على مَنْ في السّماوات والأرض، فأقرب خلقك منك منزلة أشدّهم لك خشية، وما علم مَنْ لم يخشك، وما حكم من لم يطع أمرك».

- **عن الإمام مالك**؛ أنّه بلغه أنَّ لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال: «يا بنيّ! جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك؛ فإنّ الله يُحيي القلوب بنور الحكمة كما يُحيي الأرض الميتة بوابل السّماء».

- **ورد في الأثر**: أنّ لقمان دخل على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يصنع الدّرع، فأراد أن يسأله عنها فأدركته الحكمة فسكت، فلمّا فرغ داود من صنعها لبسها، فقال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال لقمان: الصّمت حكمة وقليل فاعله، فقال داود: بذا سمّيتَ حكيمًا».

- **أخرج ابن أبي حاتم**، عن أبي العالية ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ قال: الخشية، لأنّ خشية الله رأس كلّ حكمة.

- **وعن مطر الورّاق** قال: بلغنا أنّ الحكمة خشية الله والعلم بالله.

- **وعن عروة بن الزّبير** قال: كان يُقال: الرّفق رأس الحكمة.

- **قال ابن القيّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستّة مشاهد:

أحدها: مشهد التّوحيد، وأنّ الله هو الّذي قدّره وشاءه وخلقه، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الثّاني: مشهد العدل، وأنّه ماضٍ فيه حكمه عدل فيه قضاؤه.

الثّالث: مشهد الرّحمة، وأنّ رحمته في هذا المقدّر غالبة لغضبه وانتقامه، ورحمته حشوه.

الرّابع: مشهد الحكمة، وأنّ حكمته -سبحانه- اقتضت ذلك، لم يقدّره سدى ولا قضاه عبثًا.

الخامس: مشهد الحمد، وأنّ له -سبحانه- الحمد التّامّ على ذلك من جميع وجوهه.

السّادس: مشهد العبوديّة، وأنّه عبد محض من كلّ وجه، تجري عليه أحكام سيّده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده، فيصرّفه تحت أحكامه القدريّة كما يصرّفه تحت أحكامه الدّينيّة، فهو محلّ لجريان هذه الأحكام عليه.

- وأخرج ابن أبي الدّنيا عن موسى بن عليّ، قال: قال رُبَيْطُ بني إسرائيل: «زين المرأة الحياء، وزين الحكيم الصّمت».



الباقة (٣٤)

الخوف

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فقد قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «لو نادى منادٍ من السّماء: أيّها النّاس! إنّكم داخلون الجنّة كلّكم إلا رجلًا واحدًا لخفت أن أكون أنا هو».

- خرج عمر رضي الله عنه يومًا إلى السّوق ومعه الجارود، فإذا امرأة عجوز فسلّم عليها عمر، فردّت عليه، وقالت: هيه يا عمير: عهدتك وأنت تسمّى عميرًا في سوق عكاظ، تصارع الصّبيان فلم تذهب الأيّام حتّى سمعت عمر، ثمّ قليل سمعت أمير المؤمنين: فاتّق الله في الرّعيّة، واعلم أنّه مَنْ خاف الموت خشي الفوت، فبكى عمر، فقال الجارود: لقد اجترأتِ على أمير المؤمنين وأبكيته، فأشار إليه عمر: أن دعها.

فلمّا فرغ قال: أما تعرف هذه؟ قال: لا، قال: «هذه خولة ابنة حكيم الّتي سمع الله قولها، فعمر أحرى أن يسمع كلامها، أشار إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾. وهي خولة هذه».

- **قال عمر بن الخطّاب** رضي الله عنه لمّا طعن: «لو أنّ لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه».

- **عن كعب** قال: قال لي عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يومًا وأنا عنده: يا كعب! خوّفنا. قال فقلت: يا أمير المؤمنين! أو ليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بلى، ولكن يا كعب، خوّفنا، قال قلت: يا أمير المؤمنين! اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيًّا لازدرأت عملك ممّا ترى.

- **عن جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما قال: «رأى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في يدي لحمًا معلّقًا، قال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيت لحمًا، فاشتريته، فقال عمر: كلّما اشتهيت اشتريت، أما تخاف هذه الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾؟

- **قال عبد الله بن عامر بن ربيعة:** رأيتُ عمر بن الخطّاب أخذ تبنة من الأرض، فقال: «يا ليتني هذه التّبنة، ليتني لم أكن شيئًا، ليت أمّي لم تلدني، ليتني كنت نسيًا منسيًّا».

- **قال ابن عمر** رضي الله عنهما كان رأس عمر على فخذي في مرضه الّذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي، قال: فوضعته على الأرض، فقال: «ويلي وويل أمّي إن لم يرحمني ربّي».

- **عن ابن عبّاس** رضي الله عنهما قال: «وعد الله المؤمنين الّذين خافوا مقامه، وأدّوا فرائضه الجنّة».

- بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «أما إنّي لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري، وقلّة زادي، وإنّي أمسيت في صعود على جنّة أو نار، لا أدري إلى أيّتهما يُؤخذ بي».

- **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه : «إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنّه جالس في أصل جبل يخشى أن ينقلب عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا».

- **عن عائشة** رضي الله عنها أنّها قالت: لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبت! كيف تجدك؟ ويا بلال! كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمّى يقول:

كُلّ امرئٍ مُصبّحٍ فِي أَهلِه ... والمُوتُ أَدنى مِنْ شِرَاكِ نَعلِه

- كان عليّ بن الحسين إذا توضّأ اصفرّ وتغيّر، فيقال: مالك؟ فيقول: «أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟».

- **قال ذو النّون:** «النّاس على الطّريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلّوا عن الطّريق».

- **قال الحسن البصريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إنّ المؤمنين قوم ذلّت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتّى حسبهم الجاهل مرضى، وهم والله أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فَاطِر:٣٤]، والله! لقد كابدوا في الدّنيا حزنًا شديدًا، وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم».

- **عن الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «لقد مضى بين يديكم أقوام لو أنّ أحدهم أنفق عدد هذا الحصى لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم».

- **عن الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأَنبِيَاء:٩٠] قال: الخوف الدّائم في القلب».

- **عن الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أبصر أبو بكر طائرًا على شجرة، فقال: طوبى لك يا طائر! تأكل الثّمر، وتقع على الشّجر، لوددت أنّي ثمرة ينقرها الطّير».

- **قال الحسن البصريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنّ الرّجل يذنب الذّنب فما ينساه، وما يزال متخوّفًا منه حتّى يدخل الجنّة».

- **قال الحسن البصريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلا وهو يخاف النّفاق، وما أمنه إلّا منافق».

- **قال الحسن البصريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرّجاء والخوف مطيّتا المؤمن».

- **قال الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قال: «كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البرّ وهم يخافون أن لا ينجّيهم ذلك من عذاب الله».

- **قال عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَنْ خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء، ومَنْ لم يخف الله خاف من كلّ شيء»

- **قالت فاطمة بنت عبد الملك** -امرأة عمر بن عبد العزيز- للمغيرة بن حكيم: «يا مغيرة! إنّه قد يكون في النّاس من هو أكثر صلاة وصيامًا من عمر، وما رأيت أحدًا قطّ كان أشدّ فرَقًا من ربّه من عمر، كان إذا صلّى العشاء قعد في مسجده ثمّ رفع يديه، فلم يزل يبكي حتّى تغلبه عيناه، ثمّ ينتبه فلا يزال يبكي حتّى تغلبه عيناه».

- **قال مالك**: دخل عمر بن عبد العزيز على فاطمة امرأته فطرح عليها خَلَقَ سَاجٍ عليهِ، ثمّ ضرب على فخذها، فقال: «يا فاطمة! لنحن ليالي دابق أنعم منّا اليوم، فذكّرها ما كانت نسيته من عيشها، فضربت يده ضربة فيها عنف فنحّتْها عنها، وقالت: لعمري لأنت اليوم أقدر منك يومئذٍ، فقام وهو يقول بصوت حزين: يا فاطمة! إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم، فبكت فاطمة، وقالت: اللهمّ أعذه من النّار».

- **قال ابن أبي مُليكة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أدركتُ ثلاثين من أصحاب النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلّهم يخاف النّفاق على نفسه، وما منهم أحد يقول إنّه على إيمان جبريل وميكائيل».

- **عن وهب بن منبّه** قال: «ما عُبد اللهُ بمثل الخوف».

- **قال إبراهيم التّيميّ**: «ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النّار؛ لأنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنّة؛ لأنّهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾».

- **قال سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «خلق الله النّار رحمةً يخوّف بها عباده لينتهوا».

- **عن حفص بن عمر** قال: «بكى الحسن، فقيل: ما يُبكيك؟ قال: «أخاف أن يطرحني غدًا في النّار ولا يبالي».

- سُئِلَ ابن المبارك عن رجلين أحدهما خائف والآخر قتيل في سبيل الله -عزّ وجلّ- قال: «أحبّهما إليّ أخوفهما».

- **قال الفضيل بن عياض:** «الخوف أفضل من الرّجاء ما كان الرّجل صحيحًا، فإذا نزل الموت فالرّجاء أفضل».

- **وقال أيضًا:** «إن خفت الله لم يضرّك أحد، وإن خفت غير الله لم ينفعك أحد».

- **قال الوليد بن أبي السّائب:** «ما رأيت أحدًا قطّ كان الخوف على وجهه أبين منه على عمر بن عبد العزيز».

- **قال أرطأة بن المنذر:** قيل لعمر بن عبد العزيز: لو جعلت على طعامك أمينًا لا تغتال، وحرسًا إذا صلّيت لا تغتال، وتنحّ عن الطّاعون. قال: «اللهمّ إن كنت تعلم أنّي أخاف يومًا دون يوم القيامة فلا تؤمّن خوفي».

- **قيل للحسن بن صالح:** إنّ سفيان يقول: ليتني لم أسمع من هذا العلم بشيء، قال الحسن: ولِمَ؟ قال أبو محمّد: «كانوا يتخوّفون من أفضل أعمالهم».

- **قال يزيد بن حوشب:** «ما رأيتُ أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأنّ النّار لم تخلق إلا لهما».

- **قال يحيى بن معاذ الرّازيّ:** «على قدر حبّك للهّ يُحبّك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يُهابك الخلق».

- **عن المعلّى بن زياد** أنّه قال: «كان هرم بن حيّان يخرج في بعض اللّيالي، ويُنادي بأعلى صوته: «عجبتُ من الجنّة كيف نام طالبها؟! وعجبت من النّار كيف نام هاربها؟!». ثمّ يقول: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٧].

- **قال هرم بن حيّان**: «وددت والله! أنّي شجرة أكلتني ناقة، ثمّ قذفتني بعرًا، ولم أُكابدْ الحساب يوم القيامة، إنّي أخاف الدّاهية الكبرى».

- **قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخوف يمنعني من أكل الطّعام والشّراب، فلا أشتهيه».

- **قال أبو سليمان الدّارانيّ**: «أصل كلّ خير في الدّنيا والآخرة الخوف من الله -عزَّ وجلَّ- وكلّ قلب ليس فيه خوف فهو قلب خرب».

- وعنه قال: «مَنْ حَسُنَ ظنّه بالله -عزَّ وجلَّ- ثمّ لا يخاف الله فهو مخدوع».

- **قال وهيب بن الورد**: «بلغنا أنّه ضرب لخوف الله كمثل الرّجل يكون في منزله فلا يزال عامرًا ما دام فيه ربّه، فإذا فارق المنزل ربّه وسكنه غيره خرب المنزل، وكذلك خوف الله -تعالى- إذا كان في جسد لم يزل عامرًا ما دام فيه خوف الله، فإذا فارق خوف الله الجسد خرب».

- **قال أبو عمرو الدّمشقيّ**: «حقيقة الخوف ألا تخاف مع الله أحدًا».

- **قال الغزاليّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنّ الرّجاء والخوف جناحان بهما يطير المقرّبون إلى كلّ مقام محمود، ومطيّتان بهما يقطع من طرق الآخرة كلّ عقبة كئود».

- **قال أبو عليّ الرّوزباديّ**: «الخوف والرّجاء كجناحي الطّائر، إذا استويا استوى الطّير وتمّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النّقص، وإذا ذهبا صار الطّائر في حدّ الموت».

- **قال بعض العلماء:** «ذو الدّين يخاف العقاب، وذو الكرم يخاف العار، وذو العقل يخاف التّبعة».

- **قال إبراهيم بن سفيان:** «إذا سكن الخوفُ القلبَ، أحرق مواضع الشّهوات منه، وطرد الدّنيا عنه».

- **قال أبو حفص:** «الخوف سوط الله يقوّم به الشّاردين عن بابه».

- وقال: «الخوف سراج في القلب يبصر به ما فيه من الخير والشّرّ».

- **قال الأنصاريّ:** «الخوف هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر، يعني الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد».

- **قال شيخ الإسلام ابن تيميّة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله».



الباقة (٣٥)

الذكر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

- **قال أبو بكر** رضي الله عنه: «ذهب الذّاكرون الله بالخير كلّه».

- **عن ابن عبّاس** رضي الله عنهما قال: «يطوف الرّجل بالبيت ما كان حلالًا حتّى يهلّ بالحجّ، فإذا ركب إلى عرفة فمَنْ تيسّر له هديه من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسّر له من ذلك أيّ ذلك شاء، غير إن لم يتيسّر له فعليه ثلاثة أيّام في الحجّ، وذلك قبل يوم عرفة، فإن كان آخر يوم من الأيّام الثّلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه، ثمّ لينطلق حتّى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظّلام ثمّ ليدفعوا من عرفات، فإذا أفاضوا منها حتّى يبلغوا جمعًا الّذي يتبرّر فيه، ثمّ ليذكروا الله كثيرًا، أو أكثروا التّكبير والتّهليل قبل أن تصبحوا، ثمّ أفيضوا فإنّ النّاس كانوا يفيضون، وقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٩٩] حتّى ترموا الجمرة».

- **قال أبو الدّرداء** رضي الله عنه: «لكلّ شيء جلاء، وإنّ جلاء القلوب ذكر الله -عزّ وجلّ-».

- **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه «إنّ الجبل لينادي الجبل باسمه، يا فلان! هل مرّ بك أحد ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ فإذا قال: نعم استبشر».

- **قال ابن عبّاس** رضي الله عنهما: «الشّيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس».

- **قال معاذ بن جبل** رضي الله عنه: «ما عمل العبد عملًا أنجى له من عذاب الله، من ذكر الله».

- **قال كعب بن مالك** رضي الله عنه: «مَنْ أكثر ذكر الله برأ من النّفاق».

- قال ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]: إنّ الله -تعالى- لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا ثمّ عذر أهلها في حال العذر، غير الذّكر فإنّ الله تعالى لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه فقال: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣]، باللّيل والنّهار في البرّ والبحر، وفي السّفر والحضر، والغنى والفقر، والسّقم والصّحّة، والسّرّ والعلانية، وعلى كلّ حال».

- **قال الحسن** رحمه الله: «مَنْ ذكر الله في السّوق كان له من الأجر بعدد كلّ فصيح فيها وأعجميّ. قال المبارك سعيد بن مسروق الثّوريّ: الفصيح: الإنسان، والأعجم: البهيمة».

- **عن الحسن البصريّ** يحدّث قال: «بينا رجل رأى في المنام أنّ مناديًا ينادي من السّماء: أيّها النّاس! خذوا سلاح فزعكم، فعمد النّاس فأخذوا السّلاح، حتّى إنّ الرّجل ليجيء وما معه إلا عصا، فنادى من السّماء ما هذا سلاح فزعكم، فقال رجل من أهل الأرض وما سلاح فزعنا؟ قال: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، والحمد لله».

ملاحظة: والرّؤيا لا ينبني عليها حكم شرعيّ، ومعناها صحيح جاءت به الأحاديث منها حديث نبيّ الله يحيى عليه السلام.

- **قال التّرمذيّ** يروي عن بعض أهل العلم: «إذا صلّى الرّجل على النّبيّ صلى الله عليه وسلم مرّة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس».

- **قال شيخ الإسلام ابن تيميّة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذّكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون حال السّمك إذا فارق الماء».

- **قال ابن القيّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذّكر باب المحبّة، وشارعها الأعظم، وصراطها الأقوم».

- **وقال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «محبّة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسّكون إليه، والطّمأنينة إليه وإفراده بالحبّ والخوف، والرّجاء والتّوكّل والمعاملة، بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنّة الدّنيا والنّعيم الّذي لا يشبهه نعيم، وهو قرّة عين المحبّين وحياة العارفين».

- **وقال أيضًا**: «ثبت أنّ غاية الخلق والأمر أن يذكر وأن يشكر، يذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر، وهو -سبحانه- ذاكر لمن ذكره، شاكر لمن شكره».

- **وقال**: «وأفضل الذّكر وأنفعه ما واطأ فيه القلبُ اللّسانَ، وكان من الأذكار النّبويّة، وشهد الذّاكر معانيه ومقاصده».



الباقة (٣٦)

الشـــرف

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم في قصّة وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلم وخطبة أبي بكر في الأنصار: فحمد الله أبو بكر، وأثنى عليه، وقال: «ألا مَنْ كان يعبد محمّدًا صلى الله عليه وسلم فإنّ محمّدًا قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت» وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال: فنشج النّاس يبكون.

قال: واجتمعتْ الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير؛ فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطّاب وأبو عبيدة ابن الجرّاح، فذهب عمر يتكلّم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلّا أنّي قد هيّأت كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثمّ تكلّم أبو بكر فتكلّم أبلغ النّاس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

فقال خباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منّا أمير ومنكم أمير.

فقال أبو بكر: لا، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارًا، وأعربهم أحسابًا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة. فقال عمر: بل نُبايعك أنت، فأنت سيّدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه النّاس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله.

- **عن عمر بن الخطّاب** رضي الله عنه قال: «كرم المؤمن تقواه، ودينه حسبه، ومروءته خلقه، والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء، فالجبان يفرّ عن أبيه وأمّه، والجريء يُقاتل عمّا لا يؤوب به إلى رحله، والقتل حتف من الحتوف، والشّهيد مَنْ احتسب نفسه على الله».

- **وقال أيضًا** رضي الله عنه :

«تفقّهوا قبل أن تسودوا». قال أبو عبد الله (أي البخاريّ) وبعد أن تسودوا.

- **عن جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما قال: «كان عمر يقول: أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا، يعني بلالا».

- **عن ابن عمر** رضي الله عنهما قال:

«ما رأيت أحدًا كان أسود من معاوية بن أبي سفيان، قال: قلت ولا عمر؟ قال: كان عمر خيرًا من معاوية رضي الله عنهما - وكان معاوية أسود منه».

- **عن عكرمة** قال: «السّيّد: الّذي لا يغلبه الغضب».

- **وقال الضّحّاك:** «السّيّد: الحليم التقيّ».

- **وقال مُرّة:** «السّيّد: الحسن الخلق».

- **عن هشام الكلبيّ** قال: «قيل لمعاوية: مَنْ أسود النّاس؟ فقال: أسخاهم نفسًا حين يسأل، وأحسنهم في المجالس خلقًا، وأحلمهم حين يُستجهل».

- عن حكيم بن قيس بن عاصم، عن أبيه، أنّه أوصى ولده عند موته، قال: «اتّقوا الله -عزَّ وجلَّ- وسوّدوا أكبركم؛ فإنّ القوم إذا سوّدوا أكبرهم خلفوا أباهم.- فذكر الحديث- فلا تنوحوا عليّ؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُنَحْ عليه».

- قال بعض الأنصار:

وقـال رسـولُ الله والـقـولُ قـولُـهُ … لمـن قـال مـنّـا مَـنْ تـسمّـون سيّدا
فقالوا لـه جدّ بـن قيس على الّتي … نُـبـخّـلـه فـيـهـا وإن كـان أسـودا
فـسوّد عـمـروَ بـن الجـمـوح لجوده … وحُـقَّ لـعـمـروٍ بـالـنّـدى أن يُـسَـوَّدا

– قد روي أنّ هشام بن عبد الملك حجّ في خلافة أبيه وأخيه الوليد، فطاف بالبيت، فلمّا أراد أن يستلم الحجر لم يتمكّن حتّى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه، وقام أهل الشّام حوله، فبينما هو كذلك إذ أقبل عليُّ بن الحسين، فلمّا دنا من الحجر ليستلمه تنحّى عنه النّاس إجلالًا وهيبةً واحترامًا، وهو في بزّة حسنة، وشكل مليح، فقال أهل الشّام لهشام: من هذا؟ فقال: لا أعرفه استنقاصًا به، واحتقارًا، لئلا يرغب فيه أهل الشّام، فقال الفرزدق وكان حاضرًا: أنا أعرفه، فقالوا: ومن هو؟ فأشعر الفرزدق يقول:

هَـذا الَّـذي تَـعرِفُ البَطحاءُ وَطأَتَهُ … وَالـبَـيـتُ يَـعـرِفُـهُ وَالحِـلُّ وَالحَـرَمُ
هَـذا اِبـنُ خَـيـرِ عِـبادِ اللهِ كُلِّهِمُ … هَـذا الـتَقِـيُّ الـنَقِـيُّ الطاهِـرُ العَلَمُ
إِذا رَأَتـــهُ قُـرَيـــشٌ قــالَ قائِلُها … إِلى مَـكـارِمِ هَـذا يَـنـتَـهـي الـكَـرَمُ
يُنمى إِلى ذُروَةِ الدينِ الَّتي قَصُرَت … عَنها الأَكُفُّ وَعَن إِدراكِها القَدَمُ
يَـكـادُ يُمـسِـكُـهُ عِـرفـانُ راحَـتِـهِ … رُكنُ الحَطيمِ إِذا ما جاءَ يَستَلِمُ
اللهُ شَـرَّفَـهُ قِـدمًـا وَعَـظَّـمَـهُ … جَـرى بِـذاكَ لَـهُ في لَوحِـهِ القَلَمُ
يُغضي حَياءً وَيُغضى مِن مَهابَتِهِ … فَـمـا يُـكَـلَّـمُ إِلّا حـيـنَ يَـبتَـسِـمُ
بِـكَـفِّـهِ خَـيـزُرانٌ ريـحُـهُ عَبِـقٌ … مِـن كَـفِّ أَروَعَ في عِـرنـيـنِـهِ شَمَـمُ
مُـشـتَـقَّـةٌ مِـن رَسـولِ اللهِ نَبعَـتُـهُ … وَفَـضـلُ أُمَّـتِـهِ دانَـت لَـهُ الأُمَـمُ
يَنشَقُّ ثَـوبُ الـدُجـى عَـن نـورِ غُرَّتِهِ … كَالشَمسِ تَنجابُ عَن إِشراقِها الظُلَمُ

حَمّالُ أَثقالِ أَقوامٍ إِذا اِفتُدِحوا ... حُلوُ الشَمائِلِ تَحلو عِندَهُ نَعَمُ
ما قالَ لا قَطُّ إِلّا في تَشَهُّدِهِ ... لَولا التَشَهُّدُ كانَت لاءَهُ نَعَمُ
هَذا اِبنُ فاطِمَةٍ إِن كُنتَ جاهِلَهُ ... بِجَدِّهِ أَنبِياءُ اللَهِ قَد خُتِموا
مَن جَدُّهُ دانَ فَضلُ الأَنبِياءِ لَهُ ... وَفَضلُ أُمَّتِهِ دانَت لَهُ الأُمَمُ
عَمَّ البَرِيَّةَ بِالإِحسانِ فَانقَشَعَت ... عَنها الغَياهِبُ وَالإِملاقُ وَالعَدَمُ
كِلتا يَدَيهِ غِياثٌ عَمَّ نَفعُهُما ... يُستَوكَفانِ وَلا يَعروهُما عَدَمُ
سَهلُ الخَليقَةِ لا تُخشى بَوادِرُهُ ... يَزينُهُ اِثنانِ حُسنُ الخَلقِ وَالشِيَمِ
مِن مَعشَرٍ حُبُّهُم دينٌ وَبُغضُهُمُ ... كُفرٌ وَقُربُهُمُ مُنجىً وَمُعتَصَمُ
يُستَدفَعُ الشَرُّ وَالبَلوى بِحُبِّهِمُ ... وَيُستَرَبُّ بِهِ الإِحسانُ وَالنِعَمُ
مُقَدَّمٌ بَعدَ ذِكرِ اللَهِ ذِكرُهُمُ ... في كُلِّ بِدءٍ وَمَختومٌ بِهِ الكَلِمُ
إِن عُدَّ أَهلُ التُقى كانوا أَئِمَّتَهُم ... أَو قيلَ مَنْ شَيرُ أَهلِ الأَرضِ قيلَ هُمُ
لا يَستَطيعُ جَوادٌ بَعدَ جودِهِمُ ... وَلا يُدانيهِمُ قَومٌ وَإِن كَرُموا
هُمُ الغُيوثُ إِذا ما أَزمَةٌ أَزَمَت ... وَالأُسدُ أُسدُ الشَرى وَالبَأسُ مُحتَدِمُ
لا يُنقِصُ العُدمُ بَسطًا مِن أَكُفِّهِمُ ... سِيّانِ ذَلِكَ إِن أَثرَوا وَإِن عَدِموا
أَيُّ الخَلائِقِ لَيسَت في رِقابِهِمُ ... لِأَوَّلِيَّةِ هَذا أَو لَهُ نِعَمُ
فَلَيسَ قَولُكَ مَن هَذا بِضائِرِهِ ... العُربُ تَعرِفُ مَن أَنكَرتَ وَالعَجَمُ
مَنْ يَعْرِفِ اللهَ يَعْرفْ أَوَّلِيَّةَ ذا ... فَالدينُ مِن بَيتِ هَذا نالَهُ الأُمَمُ

قال: فغضب هشام من ذلك وأمر بحبس الفرزدق بعسفان، بين مكّة والمدينة، فلمّا بلغ ذلك عليّ بن الحسين بعث إلى الفرزدق باثني عشر ألف درهم، فلم يقبلها وقال: إنّما قلت ما قلت لله - عزَّ وجلَّ - ونصرة للحقّ، وقيامًا بحقّ رسول الله ﷺ في

ذرّيّته، ولست أعتاض عن ذلك بشيء، فأرسل إليه عليّ بن الحسين يقول: قد علم الله صدق نيّتك في ذلك، وأقسمت عليك بالله لتقبلنّها، فتقبّلها منه ثمّ جعل يهجو هشامًا.

- **قال ابن القيّم** رَحِمَهُ اللَّهُ في وصف إرادة ربّ العالمين: يا محمّد! أنت تريد أبا طالب ونحن نريد سلمان، أبو طالب إذا سُئِلَ عن اسمه؟ قال: عبد مناف، وإذا انتسب افتخر بالآباء، وإذا ذكرت الأموال عدّ الإبل، وسلمان إذا سئل عن اسمه؟ قال: عبد الله، وعن نسبه؟ قال: ابن الإسلام. وعن ماله؟ قال: الفقر، وعن حانوته؟ قال: المسجد، وعن كسبه؟ قال: الصّبر، وعن لباسه؟ قال: التّقوى والتّواضع، وعن وساده؟ قال: السّهر، وعن فخره؟ قال: سلمان منّا، وعن قصده؟ قال: يريدون وجهه، وعن سيره؟ قال: إلى الجنّة، وعن دليله في الطّريق؟ قال: إمام الخلق وهادي الأئمّة.

- **قال الماورديّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ يعين ولا يستعين، فهو كريم الطّبع، مشكور الصّنع، وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يُرى ثقيلًا في نائبة، ولا يقعد عن نهض في معونة، فهذا أشرف الإخوان نفسًا وأكرمهم طبعًا».



الباقة (٣٧)

الفســـاد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

فقد قال عمر رضي الله عنه: «وإنّا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يُبايعوا رجلًا منهم بعدنا، فإمّا بايعناهم على مالا نرضى، وإمّا نخالفهم فيكون فسادًا، فمَنْ بايع رجلًا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الّذي بايعه تغرّة أن يقتلا».

- **عن عبد الله بن سبيع**؛ قال: «سمعت عليًّا يقول: لتخضبنّ هذه من هذا، فما ينتظر بي الأشقى؟ قالوا: يا أمير المؤمنين! فأخبرنا به نبير عترته، قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي، قالوا: فاستخلف علينا. قال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: فما تقول لربّك إذا أتيته، وقال وكيع مرّة: إذا لقيته؟ قال: أقول: اللهمّ تركتني فيهم ما بدا لك، ثمّ قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم».

- **عن عمرو بن العاص** رضي الله عنه قال: «لا تفسدوا علينا سنّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم؛ عدّة أمّ الولد أربعة أشهر وعشرًا».

- **عن أبي نوفل** قال: رأيتُ عبد الله بن الزّبير على عقبة المدينة، قال: فجعلت قريش تمرّ عليه والنّاس، حتّى مرّ عليه عبد الله بن عمر،

فوقف عليه، فقال: السّلام عليك أبا خبيب، السّلام عليك أبا خبيب، السّلام عليك أبا خبيب، أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، أما

والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله، إن كنتُ ما علمت صوّامًا قوّامًا وصولًا للرّحم، أما والله لأمّةٌ أنت أشرّها لأمّة خير، ثمّ نفذ عبد الله بن عمر.

فبلغ الحجّاج موقف عبد الله وقوله، فأرسل إليه، فأنزل عن جذعه، فألقي في قبور اليهود، ثمّ أرسل إلى أمّه أسماء بنت أبي بكر، فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرّسول: لتأتينّي أو لأبعثنّ إليك مَنْ يسحبك بقرونك، قال: فأبت وقالت: والله! لا آتيك حتّى تبعث إليّ مَنْ يسحبني بقروني.

قال: فقال: أروني سبتيّ، فأخذ نعليه، ثمّ انطلق يتوذّف، حتّى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعت بعدوّ الله؟

قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك.

بلغني أنّك تقول له: يا ابن ذات النّطاقين! أنا والله ذاتُ النّطاقين، أمّا أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ، وطعام أبي بكر من الدّوابّ، وأمّا الآخر فنطاق المرأة الّتي لا تستغني عنه.

أما إنّ رسول الله ﷺ حدّثنا: «**أنّ في ثقيف كذّابًا ومبيرًا**»، فأمّا الكذّاب فرأيناه. وأمّا المبير فلا إخالك إلا إيّاه.

قال: فقام عنها ولم يراجعها».

- عن أبي المنهال قال: «لمّا كان ابن زياد ومروان بالشّام وثب ابن الزّبير بمكّة، ووثب القرّاء بالبصرة، فانطلقت مع أبي إلى أبي برزة الأسلميّ حتّى دخلنا عليه في داره، وهو جالس في ظلّ عِلّيّة له من قصب فجلسنا إليه، فأنشأ أبي يستطعمه الحديث فقال: يا أبا برزة! ألا ترى ما وقع فيه النّاس؟ فأوّل شيء سمعته تكلّم به: إنّي احتسبت عند الله أنّي أصبحت ساخطًا على أحياء قريش، إنّكم يا معشر العرب! كنتم على الحال الّذي علمتم من الذّلّة والقلّة والضّلالة، وإنّ الله أنقذكم بالإسلام وبمحمّد ﷺ حتّى بلغ

بكم ما ترون، وهذه الدّنيا الّتي أفسدت بينكم، إنّ ذاك الّذي بالشّام والله! إن يقاتل إلا على دنيا، وإنّ هؤلاء الّذين بين أظهركم، والله! إن يقاتلون إلا على دنيا، وإنّ ذاك الّذي بمكّة والله! إن يقاتل إلا على الدّنيا».

- **عن أمّ سلمة** رضي الله عنها قالت: «خرج أبو بكر في تجارة إلى بصرى، قبل موت النّبيّ صلى الله عليه وسلم بعام، ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة -وكانا شهدا بدرًا- وكان نعيمان على الزّاد.

وكان سويبط رجلًا مزّاحًا، فقال لنعيمان: أطعمني، قال: حتّى يجيء أبو بكر، قال: فلأغيظنّك، قال، فمرّوا بقوم، فقال لهم سويبط: تشترون منّي عبدًا لي؟

قالوا: نعم، قال: إنّه عبد له كلام، وهو قائل لكم: إنّي حرّ.

فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تفسدوا عليّ عبدي، قالوا: لا، بل نشتريه منك، فاشتروه منه بعشر قلائص، ثمّ أتوه فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلًا، فقال نعيمان: إنّ هذا يستهزئ بكم، وإنّي حرّ، لست بعبد، فقالوا: قد أخبرنا خبرك، فانطلقوا به.

فجاء أبو بكر، فأخبروه بذلك، قال: فاتّبع القوم، وردّ عليهم القلائص، وأخذ نعيمان، قال، فلمّا قدموا على النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأخبروه، قال: فضحك النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وأصحابه منه حولًا».

- **عن سعيد بن المسيّب** رضي الله عنه قال: «قطع الذّهب، والورق من الفساد في الأرض».

الباقة (٣٨)

الرحمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، أما بعد،

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللهمّ إن لم أكن أهلًا أن أبلغ رحمتك، فإنّ رحمتك أهل أن تبلغني، رحمتك وسعت كلّ شيء وأنا شيء، فلتسعني رحمتك يا أرحم الرّاحمين، اللهمّ إنّك خلقت قومًا فأطاعوك فيما أمرتهم، وعملوا في الّذي خلقتهم له، فرحمتك إيّاهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الرّاحمين».

- **وعن الحسن، وقتادة،** في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، قالا: وسعت في الدّنيا البرّ والفاجر، وهي يوم القيامة للّذين اتّقوا خاصّة.

- **قال سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خُلِقَتْ النّار رحمة يخوّف الله بها عباده لينتهوا».

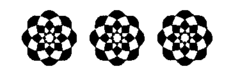
- **وقال الفيروزآبادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرّحمة سبب واصل بين الله وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم».

- **قال المهلّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرّحمة الّتي خلقها الله لعباده، وجعلها في نفوسهم في الدّنيا، هي الّتي يتغافرون بها يوم القيامة التّبعات بينهم».

- **وقال ابن حجر** تعليقًا على حديث: «**مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ**»: **قال ابن بطّال: فيه:** الحضّ على استعمال الرّحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم المملوك منها

وغير المملوك، **ويدخل في الرحمة**: التّعاهد بالإطعام، والسّعي، والتّخفيف في الحمل، وترك التّعدّي بالضّرب.

- **قال الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعديّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إنَّ الشّريعة كلّها مبنيّة على الرّحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت للهّ أو للخلق، فإنَّ الله لم يكلّف نفسًا إلا وسعها، وإذا تدبّرت ما شرعه الله -عَزَّ وَجَلَّ- في المعاملات والحقوق الزّوجيّة وحقوق الوالدين والأقربين، والجيران، وسائر ما شرع وجدت ذلك كلّه مبنيّا على الرّحمة، ثمّ قال: لقد وسعت هذه الشّريعة برحمتها وعدلها العدوّ والصّديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين الموفّقون من الخلق».







فهرس


تم بحمد الله